بشار بن برد



مكتبة صادر

أبو الفرج الأصبهاني

قطوف الأغاني

بَشّار بْن بُرْد

اخبارُه وشعْرُه

لكرم البستاني

مكتبة صادر
بيروت

قطوف الاغاني

كان كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني ومـا زال المورد العذب الذي يرده كل من يرغب في الاطـلاع على أخبـار العرب والتـأدب بآدابهم ، والتوسع في تراجم شعرائهم ومغنّيهم وقيانهم ؛ وفي معرفة الحوادث التي دفعت الشعراء الى نظم مـا نظموه من شعـر أكان ممّا تغنّى به المغنّون أم كان ممّا سار على أفواه الناس وتناقلته الأجيال .

ولمّا كان هذا الكتاب ، الواقع في واحدٍ وعشرين جزءاً ، يتعذّر اقتناؤه على الكثرة المطلقة ممّن يشاؤون الاستقـاء من معينه ، وذاك إمّا لغلاء ثمنه ، أو لعدم وجود نسخ منه كاملة ، مصحّحة من الهفوات النسخية والمطبعية ، مضبوطة بالشكل ، مفسرة الغريب ؛ وإمّا لنفور من يريد مطالعته ممّا فيه من الاسناد المتسلسل المملّ ، أو لأنه يتأثّم من أن يضعه في منزله خشية من سقوطـه بين أيدي من لا يجـوز لهم أن يطّلعوا على ما يتخلله من روايات مفسدة للأخلاق ؛ فقد رأينا ان نتبع نهجاً جديداً في نشره ، وذاك بأن نقتطف من شتّى أجزائه كل ما يتعلّق بأديب ما ، من أخبار وشعر ، ونثبته معاً في جزءٍ واحدٍ ،

منزّهاً عمّا يخلّ بالآداب ، مصحّحاً ، مضبوطاً بالشكل ، مفسراً غريبه وما أشكل من تعابيره .

فما قطوف الأغاني اذاً الا الأغاني نفسه في ترتيب جديد حذف منه الاسناد الذي لا فائدة منه للمتأدب العربي ، وحذفت منه القصص والأبيات الشعرية التي تتنافى وأخلاق عصرنا ، واستغني فيه عن التعريف بمن غنّى الأصوات وبأنواع الألحان وطرائق توقيعها المجهولة عندنا في الغناء الحديث .

ونأمل أن نكون في عملنا هذا قد أدّينا بعض ما يجب علينا من خدمة لآدابنا العربية ، ولناشئتنا الحديثة ، وسهّلنا الوصول الى هذا الكتاب لكل من أراد الاطلاع عليه من أولي الهوى الأدبي والعلمي .

كرم البستاني

أخبار بشار

نسبه

هو بشّار بن بُرد بن يرجُوخ . وكان يرجُوخ من طُخارُستان من سَبي المُهلّب بن أبي صُفرة . ويُكنى بشّار أبا مُعاذ . ومحلّه في الشعر ، وتقدُّمه طبقاتِ المُحدَثين فيه ، بإجماع الرُّواة ، ورياسته عليهم ، من غير اختلاف في ذلك ، يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله . وهو من مُخضرَمي شعراء الدولتين العبّاسية والأموية ، قد شُهِرَ فيهما ومَدَحَ وهَجا وأخذ سَنيّ الجوائز مع الشعراء .

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال :

كان بشّار من شعب أدربوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك . قال : وهو بشّار بن برد . . . بن بهمن بن دارا بن فيروز . قال : وكان يُكنى أبا مُعاذ .

وقال: كان بشّارُ بن بُرْد بن يَرجُوخ وابوه بُردٌ من قِنّ[1] خِيرَةَ القُشَيريّة امرأةِ المهلّب بن أبي صُفْرَةَ، وكان مقيماً لها في ضيعتِها بالبَصْرَة المعروفة «بخِيرَتان[2]» مع عبيدٍ لها وإماء، فوهبتْ بُرداً، بعد أن زوّجته، لامرأة من بني عُقَيلٍ كانت متصلةً بها، فولدت له امرأتُه، وهو في مِلكِها، بشّاراً فأعتقته العُقَيلِيّة.

وأخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال:

كان بُردٌ أبو بشارٍ مَولى أمّ الظِّبـاء العُقَيليّة السَّدُوسيّة، فادّعى بشار أنه مَولى بني عُقَيل لنزوله فيهم.

وأخبرني وكيع قال:

كان بشار وأمه لرجل من الأزْد، فتزوج امرأة من بني عُقَيلٍ، فساق اليها بشاراً وأمّه في صَداقها، وكان بشار وُلِدَ مكفوفاً[3] فأعتقته العُقَيليّة.

---

١ القن: العبد للواحد والجمع والمؤنث. ويقال: هو عبد قن، اي خالص العبودية، وابواه عبد وامة.

٢ قال ياقوت: خيرتان منسوب الى خيرة بنت ضمرة امرأة المهلب بن أبي صفرة، ومن اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في الاسم الذي تنسب اليه القرية الفاً ونوناً، نحو قولهم: طلحتان: نهر ينسب الى طلحة بن ابي رافع.

٣ المكفوف: الاعمى.

بيع بشار

باعت[1] أمُّ بشّارٍ بشّاراً على أمّ الظّبـاء السَّدُوسيّة بدينارين فأعتقته. وأمُّ الظباءِ امرأةُ أوْسِ بن َثعلَبَةَ أحدِ بني َتيْم اللاّت ابن َثعلَبَةَ ، وهو صاحب قصر أوس بالبصرة ؛ وكان أوس أحد فرسان بَكر بن وائلٍ بخُراسان .

والد بشار

أخبرني الحسن بن علي الخفاف : أنّ ُبرداً أبا بشّار كان َطيّاناً َيضرِبُ اللَّبِنَ ، وأراني أبي بيتين فقال لي : َلبِنُ هذين البيتين من َضرْبِ ُبردٍ أبي بشّارٍ . فسمع هذه الحكاية حمّاد َعجردٍ فهجاه فقال :

يابنَ ُبردٍ إخسأ اليكَ فمثلُ الـ
كلبِ في الناس أنتَ لا الانسانِ

بل لعمري لأنتَ شرٌّ من الكلـ
ـبِ وأولى منه بكلِّ َهوانِ

---

١ الحديث لمحمد بن عمران الصيرفي .

ولَريحُ الخِنزيرِ أهونُ من ريـ
ـحِكَ يابنَ الطيّانِ ذي التُبّانِ[1]

عجمية بشار

قال (بشّار) : لما دخلت على المهديّ قال لي : فيمَن تعتَدُّ يا بشّار ؟ فقلت : أمّا اللّسان والزّيُّ فعربيان ، وأمّا الأصل فعجميّ ، كما قلت في شعري يا أميرَ المؤمنين :

ونُبّئتُ قوماً بهم جِنّةٌ ،
يقولون : من ذا ؟ وكنتُ العَلَمْ

ألا أيها السائلي جاهداً
ليَعرِفَني : أنا أنفُ الكَرَمْ !

نَمَتْ في الكِرامِ ، بني عامرٍ ،
فُروعي ، وأصلي قريشُ العَجَمْ

فإني لأغني مَقامَ الفتى ،
وأصبي الفتاةَ فما تعتَصِمْ[2]

---

١ التبان : سراويل صغير يكون للملاحين والمصارعين .

٢ أصبي : استهوي . تعتصم : تمتنع .

قال : وكان أبو دُلامةَ حاضراً فقال : كلاّ ! لوَجْهُكَ أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك ؛ فقلت : كلاّ ! والله ما رأيت رجلاً أصدق على نفسه وأكذب على جليسه منكَ ؛ والله إني لطويل القامة عظيمُ الهامة تامّ الألواح أسجح[1] الخدّين ، فأنت مثلي يا مَرضَعان[2] ! قال : فسكت عني . ثم قال لي المهديّ : فمِن أيّ العجم أصلُكَ ؟ فقلت : من أكثرها في الفُرسان ، وأشدّها على الأقران ، أهل طُخارُستانَ ؛ فقال بعضُ القوم : أولئك الصُّغد[3] ؛ فقلت : لا ، الصُّغْدُ تِجارٌ ؛ فلم يَرُدْ ذلك المهديُّ .

تلون بشار

وكان بشّار كثيرَ التلوُّن في ولائه ، شديد الشَّغْب[4] والتعصُّب للعجم ، مرةً يقول يفتخر بولائه في قيس :

أمِنتُ مَضَرَّةَ الفُحشاء ، أني
أرى قيساً تَضُرُّ ولا تُضارُ[5]

---

١ اسجح الخدين : أي لين الخدين .

٢ المرضعان : اللئيم ، من الرضاعة وهي اللؤم .

٣ أراد أهل الصغد . والصغد كورة كبيرة مؤلفة من قرى متصلة خلال أشجار وبساتين من سمرقند الى بخارى ، وقصبتها سمرقند .

٤ الشغب : تهييج الشر .

٥ الفحشاء : جمع فاحش كجاهل وجهلاء . والفاحش : السيء الخلق . تضار : تضر .

كأنَّ الناسَ ، حين تغيبُ عنهم ،
نباتُ الأرضِ أخطأهُ القِطارُ[1]

وقد كانت بتَدمُرَ خيلُ قيسٍ ،
فكان لِتَدمُرٍ فيها دَمارُ

بجيٍّ من بني عَيلانَ شُوسٍ
يَسيرُ الموتُ ، حيث يقالُ ساروا[2]

وما تَلقاهمُ الاّ صَدرْنا
برِيٍّ منهمُ ، وهُمُ حِرارُ[3]

ومرّةً يتبرّأ من وَلاء العرب فيقول :

أصبحتَ مولى ذي الجلالِ وبعضُهمْ
مولى العُرَيبِ فخُذ بفضلك فافخَرِ

مولاكَ أكرمُ من تميمٍ كلِّها ،
أهلِ الفَعالِ ، ومن قريش المَشعَرِ[4]

---

١ القطار : جمع قطر وهو المطر .

٢ شوس : جمع أشوس ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينيه .

٣ حرار : جمع حران وهو الشديد العطش .

٤ الفعال بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . والمشعر : هو المشعر الحرام بالمزدلفة اي بين عرفات ومنى ، واسمه قزح : وهو ايضاً الواحد من مشاعر الحج اي مناسكه .

فارجِع الى مولاكَ غيرَ مُدافَعٍ
سُبحانَ مولاكَ الأجلُّ الأكبرِ !

وقال يفتخر بولاء بني عُقَيلٍ :

إنني من بني عُقَيلِ بنِ كعبٍ
مَوضِعَ السيفِ من طُلى الأعناقِ[1]

لقب بشار

ويُكنى بشّارٌ أبا مُعاذٍ ، ويلقّبُ بالمُرَعَّثِ[2] .

أخبرني عمي قال :

بشّارٌ المرعَّثُ هو بشّار بنُ بُرد ، وإنما سُمّيَ المرعَّثَ بقوله :

قالَ ريمٌ مُرَعَّثٌ
ساحرُ الطَّرفِ والنظر[3]

لستَ واللهِ نائلي
قلتُ : أو يغلِبُ القَدَرُ[4]

---

١ الطلى : اصول الاعناق ، واحدتها طلية أو طلاة .
٢ المرعث : الملبس الرعثة وهي القرط (الحلقة) يعلق في شحمة الاذن .
٣ الريم : مسهل الرئم وهو الظبي الخالص البياض استعاره بشار لموصوفه .
٤ أو : هنا بمعنى بل .

أنتَ إن رُمتَ وَصْلَنا
فانجُ ، هل تُدرِكُ القَمرْ ؟

قال أبو أيوب :

إنّما سُمّي بشّارٌ المرعّثَ ، لأنه كان لقميصه جَيبـان : جيبٌ عن يمينه وجَيبٌ عن شِماله ، فإذا أراد لُبسَه ضَمّهُ عليه من غير أن يُدخِلَ رأسه فيه ، واذا أراد نزعَه حـلّ أزرارَه وخرج منـه ، فشُبّهتْ تلـك الجيوبُ بالرّعاثِ لاسترسالها وتدلّيها ، وسُمّي من أجلها المرعّثَ .

أخبرنا يحيى بن علي قال :

لُقّبَ بشّارٌ بالمُرَعّثِ لأنه كان في أُذنه وهو صغـير رِعاث ، والرّعاث : القِرَطـة، واحدتها رَعثَةٌ وجمعُها رِعاثٌ ، ورَعَثاتٌ . ورَعَثات الديك : اللحم المتدلّي تحت حنكه ؛ قال الشاعر :

سَقيتُ أبا المصرّعِ إذ أتاني
وذو الرّعَثاتِ مُنتصبٌ يصيحُ

شراباً يهربُ الذّبّانُ منه
ويَلثَغُ حين يشربه الفصيحُ

قال : والرّعث : الاسترسال والتساقط . فكأنّ اسم القِرَطـةِ اشتُقّ منه .

بغضه للناس

سمعتُ الأصمعيّ[١] يذكر أنّ بشاراً كان من أشدّ الناس تبرُّماً بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذي ذهب ببصري ؛ فقيل له : ولِمَ يا أبا مُعاذ ؟ قال : لئلاّ أرى مَن أبغِضُ . وكان يلبَسُ قميصاً له لِبنَتان[٢]، فإذا أراد أن ينزِعه نزعه من أسفله، فبذلك سُمّي المرعَّث .

صفاته

كان بشّارٌ[٣] ضخماً ، عظيمَ الخَلق والوجه ، مَجدُوراً ، طويلاً ، جاحظَ[٤] المُقلتين قد تغشّاهما لحمٌ أحمرُ ، فكان أقبحَ الناس عمىً وأفظعَه[٥] منظراً ؛ وكان اذا أراد أن يُنشِدَ صفّق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله ثم يُنشِدُ فيأتي بالعجَب .

---

١ الحديث لمحمد بن بدر العجلي .

٢ اللبنة : بنيقة القميص وهي زيقه الذي يفتح في النحر .

٣ الحديث لهاشم بن محمد أبو دلف الخزاعي .

٤ الجاحظ : من جحظت عينه : خرجت مقلتها من المحجر .

٥ أعاد الى الجمع ضميراً مفرداً وهو استعمال عربي فصيح ، يقال : أحسن الناس خلقاً وأحسنه وجهاً ، والمراد احسنهم ، وهو كثير من أفصح الكلام .

عماه

وُلِدَ بشّارٌ أعمى ، وهو الأكمه[1] .

أخبرنا هاشم بن محمد قال :

وُلِدَ بشّار أعمى فما نظَرَ الى الدنيا قطّ ، وكان يُشبّه الأشياء بعضَها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البُصَراء أن يأتوا بمثله ؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله :

كأنّ مُثارَ النقع فوق رُؤوسنا
وأسيافَنا ليلٌ تَهاوى كواكبُه[2]

ما قال أحدٌ أحسن من هـذا التشبيه ، فمن أين لـك هذا ولم ترَ الدنيا قطّ ولا شيئاً فيها ؟ فقال : إنّ عدم النظر يقوّي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغلَ بما يُنظَر اليه من الأشياء فيتوفّر حسّه وتذكو قريحتُه ، ثم أنشدهم قولَه :

عَميتُ جَنيناً والذكاءُ من العَمى ،
فجئتُ عجيبَ الظنّ ، للعلم ، مَوئلا[3]

---

١ الحديث ليحيى بن علي . الاكمه : الذي يولد أعمى .

٢ النقع الغبار . والمثار : اسم مفعول من أثار الغبار : هاجه .

٣ الموئل : الملجأ .

وغاضَ ضياءُ العين للعلم ، رافداً
لقلبٍ اذا ما ضَيّع الناسُ حَصّلا[1]

وشِعرٍ كنَورِ الروض لاءمتُ بينَه
بقولٍ اذا ما أحزنَ الشعرُ أسهلا[2]

اخبرنا هاشم قال :

كان بشّارٌ أعمى طويلاً ضخماً آدمَ مجدوراً[3] .

قال الحمراني : قالت لي عمتي :

زرتُ قرابةً لي في بني عُقَيل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم ينشِد :

مِن المفتونِ بشّارِ بنِ بُردِ
الى شيبانَ كهلِهِمُ ومُردِ

بأنَّ فتاتكم سَلَبَتْ فؤادي
فنِصفٌ عندها والنصفُ عندي

فسألت عنه فقيلَ لي : هذا بشّار .

---

١ غاض : غار . للعلم : لمكان العلم اي القلب . حصل : اي ان قلبه يحصل العلم اذا ما ضيعه الناس .

٢ اي ان الشعر يأتيه سهلاً لا صعباً غليظاً كشعر غيره .

٣ الآدم : الذي به سمرة .

الاذان وشعر بشار

قال بشّار[1] : أزرى بشعري الأذان . يقول : إنه إسلاميّ .

قوله الشعر

قال بشّار الشعر[2] ولم يبلغ عَشرَ سنين ، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخشِيٌّ مَعَرّةِ لسانه .

قال : وكان بشّار يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عنّي واستصغرني ، ولو أجابني لكنت أشعر الناس .

وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال :

كان الأصمعي يقول : بشّار خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أنّ أيّامه تأخرتْ لفضّلتُه على كثيرٍ منهم .

قال أبو زيد :

كان راجزاً مُقصِّداً[3] .

---

١ الحديث لمحمد بن يحيى الصيرفي .

٢ الحديث لحبيب بن نصر المهلبي .

٣ يقال : قصد الشاعر وأقصد : أطال وواصل عمل القصائد .

قال أبو عبيدة :

سمعت بشاراً يقول وقد أنشِدَ في شعر الأعشى :

وأنكرَتني وما كان الذي نَكِرَتْ
من الحوادث إلاّ الشَّيبَ والصَّلَعا

فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلامَ الأعشى ؛ فعجِبتُ لذلك . فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس ، فقال : حدّثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى :

وأنكرَتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث إلاّ الشّيبَ والصّلَعا

فجعلت حينئذٍ أزداد عجباً من فِطنة بشّار وصحّة قريحته وجَودة نَقْده للشعر .

خصب شاعريته

قال بشّار[1] : لي اثنا عشر ألف بيتٍ عينٍ[2] ؛ فقيل له : هذا ما لم

---

١ الحديث لعم أبي الفرج الاصبهاني .

٢ اي من جيد الشعر .

يكن يدَّعيه أحدٌ قطُّ سواك ؛ فقال : لي اثنا عشر ألفَ قصيدة ، لعنها اللهُ ولعن قائلَها إن لم يكن في كل واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ .

رأي أبي عبيدة والجاحظ فيه

قلت لأبي عبيدة[1]: أمَروان[2] عندك أشعرُ أم بشّار؟ فقال: حَكَمَ بشّارٌ لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشرَ ألف بيتٍ جيّد ، ولا يكون عددُ الجيّد من شعر شعراء الجاهلية والاسلام هذا العدد ، وما أحسبهم بَرَّزوا في مثلها ؛ ومَروانُ أمدحُ للملوك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال :

قال بشّار الشعر وله عشر سنين، فما بلغ الحُلُمَ الا وهو مَخشيُّ مَعرَّةِ اللسان بالبصرة . قال : وكان يقول : هجوتُ جريراً فاستصغرني وأعرض عنّي ، ولو أجابني لكنتُ أشعرَ أهل زماني .

أخبرني الحسن بن علي قال :

قال بشّار : لي اثنا عشرَ ألف بيت جيّدٍ ؛ فقيل له : كيف ؟ قال: لي اثنا عشَرَ ألفَ قصيدة ، أما في كل قصيدة منها بيت جيّد!

---

[1] الحديث لأبي حاتم .

[2] هو مروان بن ابي حفصة .

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره :

كان بشّار شاعراً خطيباً صاحب منثورٍ ومُزدَوِج [1] وسجع ورسائلَ ، وهو من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع ، المُفتنّين في الشعر ، القائلين في أكثر أجناسه وضُروبه ; قال الشعر في حياة جرير وتعرّض له . وحُكي عنه أنه قال : هجوتُ جريراً فأعرض عنّي ، ولو هاجاني لكنتُ أشعرَ الناس .

وقال : وكان بشّار يَدين بالرَّجعة [2] ، ويُكفّر جميع الأمة ، ويصوّب رأي إبليس في تقديم النار على الطّين ، وذكر ذلك في شعره قال :

الأرض مُظلِمةٌ والنار مُشرِقةٌ
والنارُ معبودةٌ مُذ كانت النارُ

بشار وواصل بن عطاء

قال : وبلغه عن أبي حُذيفة واصلِ بن عطاء إنكار لقوله

---

١ المزدوج : ما أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن .

٢ الرجعة: الايمان بالرجوع بعد الموت في الدنيا، وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية، ومذهب طائفة من أولي البدع والأهواء من المسلمين، يقولون ان الميت يرجع الى الدنيا ويكون فيها حياً .

وهتف به[1] ، فقال يهجوه :

ما لي أشايعُ غزّالاً له عُنقٌ
كنِقْنِقِ الدّوِّ إن وَلّى وإن مثَلا[2]

عُنقَ الزّرافةِ ما بالي وبالُكُمُ
تُكفّرون رجالاً كفّروا رجلا[3] !

قال : فلما تَتابع على واصلٍ منه ما يَشهد على إلحاده خَطَب به واصلٌ ، وكان ألثغَ على الراء فكان يجتنبها في كلامه ، فقال : أمَا لهذا الأعمى المُلْحِد ، أمَا لهذا المُشَنَّف المكنّيّ بأبي مُعاذ من يقتله ؟ أمَا والله لولا أن الغِيلة[4] سَجيّةٌ من سجايا الغالية[5] لدَسَسْت اليه من يَبعَج[6] بطنه في جوف منزِله أو في حَفْلِه[7]، ثم كان لا يتولى ذلك إلاّ عُقَيْليّ أو سَدُوسيّ ! فقال : أبا مُعاذ ولم يقل بَشّاراً ، وقال : المُشَنَّفَ ولم يقل المُرَعَّث ، وقال : من سجايا الغالية ولم يقل

---

١ اراد بالهتف به المناداة والصياح تحريضاً عايه .

٢ عرف واصل بن عطاء بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين الى أبي عبدالله مولى قطن الهلالي . والنقنق : الظليم وهو ذكر النعام . والدو : الفلاة .

٣ يعرض هنا بالمعتزلة لأنهم كفروا الخوارج لتكفيرهم علي بن ابي طالب .

٤ الغيلة : الخدعة ، والقتل من خفية .

٥ الغالية : فرقة من الشيعة .

٦ بعج بطنه : شقه .

٧ الحفل : الجمع من الناس .

الرافضة ، وقال : في منزله ولم يقل في داره ، وقال : يبعج بطنه ولم يقل يَبْقَرُ ، للثُّغة التي كانت به في الراء .

قال : وكان واصلٌ قد بلغ من اقتداره على الكلام وتمكّنه من العبارة أن حذَفَ الراء من جميع كلامه وخُطَبه وجعل مكانها ما يقوم مقامها .

أخبرني يحيى بن علي قال :

كان بالبَصرة ستةٌ من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد، وواصل ابن عطاء ، وبشّار الأعمى ، وصالح بن عبد القدّوس ، وعبد الكريم ابن أبي العوجاء ، ورجلٌ من الأزد — قال أبو أحمد : يعني جريرَ بن حازم — فكانوا يجتمعون في منزل الأزديّ ويختصمون عنده . فأمّا عَمرو وواصلٌ فصارا الى الاعتزال . وأمّا عبد الكريم وصالح فصحّحا التوبة . وأمّا بشّار فبقي متحيّراً مُخلّطاً . وأمّا الأزديّ فمال الى قول السُّمَنيّة[1] ، وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقي ظاهرُه على ما كان عليه . قال : فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث ؛ فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغني أنّك تخلو بالحدث من أحداثنا

---

١ السمنية : قوم من اهل الهند دهريون . وقال الجوهري : السمنية : فرقة من عبدة الاصنام تقول بالتناسخ وتنكر وقوع العلم بالأخبار ، وهي نسبة الى « سومنات » بلد بالهند. والدهريون : هم الذين ذهبوا الى قدم الدهر واسناد الحوادث اليه ، وهم قوم ملحدون لا يؤمنون بالآخرة .

فتُفسدُه وتستزلُّه وتُدخِلُه في دينك ، فإن خرجت من مصرنا وإلاّ قمتُ فيك مقاماً آتي فيه على نفسك ؛ فلحِقَ بالكوفة ، فدُلّ عليه محمدُ بن سليمان فقتَله وصلبه بها . وله يقول بشّار :

قُـلْ لعبد الكريم يابنَ أبي العَو
جاءِ بعتَ الاسلامَ بالكفر مُوقا[1]

لا تصلّي ولا تصوم فإن صُمـ
ـتَ فبعضَ النهـار صوماً رَقيقا

لا تبـالي اذا أصبتَ من الخمـ
ـرِ عتيقـاً ألاّ تكون عَتيقـا[2]

ليت شعري غداةَ حُلّيتَ في الجيـ
ـد حَنيفـاً حُلّيتَ أم زِنديقا[3]

أيهما أشعر ؟

سئل الأصمعيّ[4] عن بشّار ومروان[5] أيّهما أشعر ؟ فقال : بشّار ؛

---

١ موقا : حمقاً وغباوة .

٢ العتيق : الكريم .

٣ الحنيف : الصحيح الميل الى الاسلام . والزنديق : من يبطن الكفر ويظهر الايمان .

٤ الحديث لهاشم بن محمد .

٥ مروان بن ابي حفصة .

فسئل عن السبب في ذلك ، فقال : لان مروان سلك طريقاً كثُر من يَسلُكه فلم يلحق من تقدّمه ، وشَرِكه فيه من كان في عصره ، وبشّار سلك طريقاً لم يُسلك وأحسنَ فيه وتفرّد به ، وهو أكثر تصرُّفا وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسعُ بديعـاً ، ومروان لم يتجاوز مذاهب الاوائل .

وأخبرني عن أبي حاتم قال :

سمعت الأصمعيّ وقد عاد الى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حَفْصةَ ، فقال : وجَد أهل بغداد قد ختموا به الشعراء وبشّار أحقُّ بأن يَختموهم به من مروان ؛ فقيل له : ولِمَ ؟ فقال : وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشّار يقول شعراً حتى يُصلحَه له بشّار ويُقوّمه ! وهذا سَلْمٌ الخاسرُ من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز ، وسَلْمٌ معترف بأنه تَبَعٌ لبشّار .

بشار وامرؤ القيس والقطامي

سمعت[١] من لا أحصي من الرُّواة يقولون : أحسنُ الناس ابتداء في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

الا انعم صباحاً أيّها الطَّلل البالي

١ الحديث لعلي بن يحيى المنجم .

وحيث يقول :

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

وفي الاسلام القطامي حيث يقول :

إنّا مُحيّوكَ فاسلم أيُّها الطّللُ

ومن المحدّثين بشّار حيث يقول :

أبى طَلَلٌ بالجِزْع أن يتكلّما
وماذا عليه لو أجاب مُتيّما ؟

وبالفرع آثارٌ بقين وباللّوى
مَلاعبُ لا يُعرَفْنَ إلاّ توهُّما[1]

بشار ومروان بن ابي حفصة

كان الأصمعي[2] يُعجَب بشعر بشّار لكثرة فنونه وسعة تصرّفه ، ويقول : كان مطبوعاً لا يُكلّف طبعه شيئاً متعذّراً لا كمن يقول البيت ويحكّكه أياماً. وكان يُشبّه بشّاراً بالأعشى والنابغة الذُبياني، ويشبّه مروان بزُهير والحُطيئة ، ويقول : هو متكلّف .

---

١ الفرع : قرية بينها وبين المدينة ثمانية برد على طريق مكّة فيها نخل ومياه كثيرة . اللوى : في الأصل منقطع الرملة ، وهو اسم موضع بعينه . قال ياقوت : هو واد من أودية بني سليم .

٢ الحديث عن أبي حاتم .

وقلت لأبي زيد : أيّما أشعر، بشّارٌ أم مروان ؟ فقال : بشّار أشعر ، ومروان أكفر .

وسألت أبا زيد مرّةً أخرى عنهما فقال : مروان أجَدُّ وبشّارٌ أهزلُ ؛ فحدّثت الأصمعيّ بذلك ، فقال : بشّارٌ يصلُحُ للجِدِّ والهزل ، ومروان لا يصلُح إلاّ لأحدهما .

سيرورة شعره

قال (نجم بن النطاح) : عَهدي بالبصرة وليس فيها غزِلٌ ولا غزِلةٌ إلاّ يَروي من شعر بشّار ، ولا نائحةٌ ولا مغنّيةٌ إلاّ تتكسّب به ، ولا ذو شرفٍ إلاّ وهو يَهابُه ويخاف مَعرّةَ لسانه .

صحة شعره

قلت لبشّار[1] : ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلاّ وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من ألفاظهم وشُكّ فيه ، وإنه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه ؛ قال : ومن أين يأتيني الخطأ ! وُلِدتُ هاهنا ونشأت في حُجور ثمانين شَيخاً من فُصحاء بني عُقَيل ما فيهم أحدٌ يعرفُ

---

١ الكلام لاحمد بن المبارك عن ابيه .

كلمة من الخطإ ، وإن دخلتُ الى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم ، وأيفعتُ[1] فأبديتُ[2] الى أن أدركتُ ، فمن أين يأتيني الخطأ !

اخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال :

كان الأصمعي يقول : إنّ بشاراً خاتمة الشعراء ، والله لولا أنْ أيّامه تأخرت لفضّلتُه على كثير منهم .

أبدع الناس بيتاً

لقيَ أبو عمرو بنُ العلاء بعضَ الرُّواة فقال له : يا ابا عمرو ، مَن أبدعُ الناسِ بيتاً ؟ قال : الذي يقول :

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَم
ونفى عنّي الكَرى طيفٌ ألمّ

رَوّحي عنّي قليلًا واعلَمي
أنني ، يا عبدَ ، من لحمٍ ودَمْ

قال : فمن أمدحُ الناس ؟ قال : الذي يقول :

لمستُ بكفّي كفّه أبتغي الغِنى
ولم أدرِ أنّ الجود من كفّه يُعدي

---

١ يفع الغلام وأيفع : اذا راهق البلوغ فهو يافع .

٢ ابديت بالبناء للمفعول : أخرجت الى البادية .

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى
أفدتُ وأعداني فأتلفت ما عندي

قال : فمَن أهجى الناس ؟ قال : الذي يقول :

رأيت السُهيْلَين استوى الجودُ فيهما
على بُعد ذا من ذاك في حُكم حاكمِ

قال : وهذه الأبيات كلّها لبشّار .

الاشعار التي يغنى فيها

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَمْ
ونفى عنّي الكرى طيفٌ ألمّ

واذا قلتُ لها جُودي لنا
خرجتْ بالصمْت عن لا ونعمْ

نفّسي ، يا عبدَ ، عنّي واعلمي
أنّني ، يا عبدَ ، من لحمٍ ودمْ

إنّ في بُرديَّ جسماً ناحلاً
لو توكّأتِ عليه لانهدَمْ

ختَمَ الحبُّ لها في عُنقي
موضِعَ الخاتَمِ من أهل الذّممْ

فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدحُ الناس وأولها :

لمَستُ بكفّي كفّـه أبتغي الغِنى

فإنه ذكر أنها لبَشّار . وذكر الزُّبيرُ بنُ بَكّار أنها لابن الخيّاط في المَهديّ .

هجاؤه لديسم

كان بشّارٌ كثير الوَلوع بدَيسَم العَنزيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكثِرُ هجاءَه ، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّادٍ وأبي هشام الباهليّ في بشّارٍ ، فبلغه ذلك فقال فيه :

أدَيسَمُ يابنَ الذئب من نَجلِ زارعٍ
أترْوي هِجائي سادراً غيرَ مُقصِرِ[1] ؟

قال أبو حاتم : فأنشدتُ أبا زيد هذا البيت وسألتُه ما يقول فيه ، فقال : لِمن هذا الشعرُ ؟ فقلت : لبشّار يقوله في دَيسم العنزيّ ؛ فقال : قاتله الله ما أعلَمَهُ بكلام العرب ! ثم قال : الدَّيسمُ : ولدُ الذئب من الكَلبة ، ويقال للكلاب : أولادُ زارعٍ . والعِسبارُ :

---

١ السادر : الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع .

ولدَ الضَّبُعِ من الذئب . والسِّمعُ : ولدُ الذئب من الضَّبع . وتزعُم العربُ أن السِّمعَ لا يموت حتف أنفه، وأنه أسرع من الريح، وإنّما هلاكُه بعَرَضٍ من أعراض الدنيا .

بشار وحمدان الخراط

كان بالبصرة رجل يقال له : حَمدانُ الخرّاط ، فاتخذ جاماً[1] لانسان كان بشّار عنده ، فسأله بشّارٌ أن يتخذَ له جاماً فيه صُوَرُ طيرٍ تطيرُ ، فاتخذه له وجاءه به ، فقال له: ما في هذا الجام ؟ فقال : صُوَرُ طيرٍ تطير ؛ فقال له : قد كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنه يريدُ صيدَها ، فإنه كان أحسنَ ؛ قال : لم أعلم ؛ قال: بَلى قد علمتَ ، ولكن علمتَ أني أعمى لا أبصِر شيئاً ! وتهدّده بالهجاء ، فقال له حَمدان : لا تفعل فإنك تندمُ ؛ قال : أوَتهدّدُني أيضاً ! قال : نعم ؛ قال : فأي شيءٍ تستطيع أن تصنع بي إن هجوتُكَ ! قال : أصَوّرُكَ على باب داري بصورتِك هذه حتى يراكَ الصادرُ والواردُ ؛ قال بشّارٌ : اللّهمَّ أخزِه ، أنا أمازحُهُ وهو يأبى إلاّ الجِدَّ !

---

١ الجام : اناء من فضة من كأس ومشربة ونحوهما .

مفاخراته

كان جريرُ بنُ المُنذر السَّدُوسيّ يفاخر بشّاراً ؛ فقال فيه بشّار :

أَمثلُ بني مُضَرٍ وائلٌ
فَقَدتُكَ من فاخرٍ ما أجَنّ

أفي النوم هذا ، أبا مُنذِرٍ ،
فخَيراً رأيتَ وخيراً يَكُنْ

رأيتُكَ والفخرَ في مثلِها
كعاجنةٍ غيرَ ما تطّحِنْ

كنّا[1] عند بشّار وعنده رجلٌ ينازعه في اليمانية والمُضَريّة إذ أذّن المؤذّن ، فقال له بشّار : رويداً ، تفهّم هذا الكلام ؛ فلما قال : أشهدُ أنّ محمداً رسولُ الله ، قال له بشّار : أهذا الذي نُودي باسمه مع اسم الله ، عزّ وجلّ ، من مُضرَ هو أم من صُداءٍ وعكّ وحِميَر ؟ فسكت الرجل .

أنشِد بشّار قول الشاعر :

وقد جعل الأعداءُ ينتقصوننا
وتطمعُ فينا ألسنٌ وعيونُ

---

١ الحديث لمحمد بن الحجاج .

ألا إنما ليلى عَصا خَيزُرانة
إذا غمزُوها بالأكُف تلينُ

فقال : والله لو زعم أنها عصا مُخ أو عصا زُبْدٍ ، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصاً ! ألا قال كما قلتُ :

ودَعجاءِ المَحاجر من مَعَدّ
كأنّ حديثها ثمرُ الجِنانِ [1]

إذا قامت لمشيتها تثنَّت
كأنّ عظامَها من خيزُرانِ

قلت لبشّار [2] : إنّي أنشدتُ فلاناً قولكَ :

إذا أنتَ لم تشرَب مِراراً على القَذى
ظَمِئتَ ، وأيُّ الناس تصفُو مَشاربُه ؟

فقال لي : ما كنتُ أظنه إلاّ لرجل كبير ؛ فقال لي بشّار : ويلك ! أفلا قلتَ له : هو والله لأكبرِ الجنّ والإنس !

عتابه لامرأة

كان بشّارٌ يهوى امرأة من أهل البصرة ، فراسلَها يسألُها

---

١ المحاجر : جمع المحجر ، ما دار بالعين . الدعجاء : الشديدة السواد مع سعة .
٢ الحديث لمحمد بن الحجاج .

زيارته ، فوعدته بذلك ثم اخلفته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلمّا لم تأتِه أرسل اليها يعاتبُها ، فاعتذَرت بمرض أصابها ؛ فكتب اليها بهذه الأبيات :

يا ليلَتي تزدادُ نُكرا
مِن حُبِّ مَن أحببتُ بِكرا

حَوراءُ إن نظرتْ اليـ
كَ سقتكَ بالعينينِ خَمرا[1]

وكأنّ رَجْعَ حديثِها
قِطَعُ الرياضِ كُسينَ زَهرا

وكأنّ تحتَ لسانِها
هاروتَ ينفُثُ فيه سِحرا[2]

وتخالُ ما جمعَت عليـ
ـه ثيابَها ذهباً وعِطرا

وكأنّها بَرْدُ الشرا
بِ صَفا ووافق منك فِطرا

جِنّيّةٌ إنسيّةٌ
أو بينَ ذاك أجلُّ أمرا

---

١ الحوراء : من كان في عينيها حور وهو اشتداد بياض بياض العين وسواد سوادها ،
٢ هاروت : احد ملكي السحر في بابل ، اما الثاني فهو ماروت .

وكفاكَ أنّي لم أحِطْ
بشَكاةِ من أحببتُ خُبرا[1]

إلاّ مقالةَ زائرٍ
نثَرَتْ ليَ الأحزانَ نثرا

مُتخشّعاً تحت الهوى
عشراً وتحت الموتِ عشرا

رأي الموصلي فيه

كان إسحاق الموصليّ لا يَعتَدُّ ببشّارٍ ويقول : هو كثيرُ التخليط في شعره ، واشعارُه مختلفة ، لا يُشبه بعضُها بعضاً ؛ أليس هو القائل :

إنّما عَظمُ سُلَيمَى حِبّتي
قصَبُ السُّكّرِ لا عَظمُ الجَمَلْ

وإذا أدنَيتَ منها بَصَلاً
غلبَ المِسكُ على ريح البصَلْ

لو قال كلُّ شيءٍ جيّدٍ ثم أُضيف الى هذا لزيّفه . وكان يقدّم عليه مروان ويقول : هذا هو أشدُّ استواءِ شعرٍ منه ، وكلامُه ومذهبُه اشبه بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يعُدُّ أبا نواس البتة ولا يرى فيه خيراً .

---

١ الشكاة : ما يشكو منه الانسان من مرض أو حزن أو هم .

هجاؤه أبا مسلم

دخل بشّار الى ابراهيم بنِ عبدالله بن حسن ، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصورَ ويُشير عليه برأيٍ يستعمله في أمره ، فلمّا قُتِلَ ابراهيم خاف بشّارٌ ، فقلب الكنية ، وأظهر أنه كان قالها في أبي مُسلم وحذَف منها أبياتاً وأوّلُها :

أبا جعفرٍ ما طولُ عيشٍ بدائمِ
ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالمِ

قلب هذا البيت فقال : « أبا مسلمٍ »

على الملكِ الجبّار يقتحمُ الردى
ويصرعُهُ في المـأزقِ المتلاحِمِ[1]

كأنك لم تسمع بقتلِ متوّجٍ
عظيم ولم تسمع بفتكِ الأعاجمِ

تقسّمَ كِسرى رهطُه بسيوفهم
وأمسى أَبو العباس أحلامَ نائمِ

يعني الوليد بن يزيد .

---

١ المأزق : المضيق . المتلاحم : من تلاحم المتحاربون ، تلاصقوا .

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة
عليه ولا جريَ النُّحُوسِ الأشائمِ[١]

مُقيماً على اللذّات حتى بدتْ له
وجوهُ المنايا حاسراتِ العمائمِ[٢]

وقد تَرِدُ الأيامُ غُرّاً وربّما
ورَدْنَ كُلوحاً باديات الشّكائمِ[٣]

ومروانُ قد دارت على رأسه الرّحى
وكان لِما أجرَمْتَ نَزْرَ الجرائمِ[٤]

فأصبحتَ تجري سادراً في طريقهم
ولا تتّقي أشباهَ تلك النقائمِ[٥]

تجرّدتَ للاسلام تعفو سبيله
وتُعرِي مَطاه للّيوثِ الضّراغمِ[٦]

---

١ الأشائم : الكثيرة الشؤم ، واحدها أشأم .

٢ حاسرات العمائم : كاشفات الرؤوس كناية عن وقوع الشر .

٣ كلوحاً : عابسة ، مكشرة . وقوله باديات الشكائم : شبه الأيام بالخيول العابسة البادية شكائمها اي حدائد لجمها لتكشيرها .

٤ يريد به مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية الذي قتله ابو العباس السفاح بمصر .

٥ السادر : غير المبالي .

٦ تعفو : تمحو . المطا : الظهر .

فما زلتَ حتى استنصرَ الدينُ أهلَه
عليك فعاذوا بالسيوف الصوارمِ

فرُمْ وَزَراً يُنجيكَ يابنَ سلامةٍ
فلستَ بناجٍ من مَضيمٍ وضائمِ[1]

جعل موضع « يابنَ سلامة » « يابنَ وشيكة » وهي أمّ أبي مسلمٍ .

لَحا الله قوماً رأسوك عليهمُ
وما زلتَ مرؤوساً خبيثَ المطاعمِ

أقولُ لبَسّامٍ عليه جَلالةٌ
غدا أريحيّاً عاشقاً للمكارمِ

من الفاطميّين الدُّعاةِ الى الهدى
جِهاراً ومن يَهديكَ مثلُ ابنِ فاطمِ[2]؟

هذا البيت الذي خافه وحذفه بشّارٌ من الأبيات .

سراجٌ لعينِ المستضيءِ وتارةً
يكون ظلاماً للعدوِّ المزاحِمِ

اذا بلغَ الرأيُ المشُورةَ فاستعِنْ
برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ[3]

---

١ الوزر : الملجأ .

٢ أصله فاطمة فرخمه بحذف تاء التأنيث ، والترخيم في غير النداء جائز للضرورة .

٣ الحازم : الذي يضبط اموره .

ولا تجعلِ الشُّورَى عليكَ غضاضةً
فإنَّ الخوافي قوَّةٌ للقوادمِ[1]

وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها
وما خيرُ سيفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائمِ[2]!

وخَلِّ الهُوَينا للضَّعيف ولا تكُنْ
نَؤوماً فإنَّ الحزمَ ليس بنائمِ

وحارب اذا لم تُعطَ إلاَّ ظُلامةً
شَبا الحربِ خيرٌ من قَبُول المظالمِ[3]

قال محمد بن يحيى :

سمعت أبا عبيدة يقول: ميميَّة بشَّارٍ هذه أحب الي من ميميَّتَي جريرٍ والفرزدق .

قوله في المشورة

قال الأصمعيّ: قلت لبشّار : يا أبا مُعاذٍ ، إن الناس يَعجبُون من أبياتك في المشورة ؛ فقال لي : يا أبا سعيد ، إن المُشاورَ بين

---

١ الغضاضة : المنقصة .

٢ الغل بالضم : الحديدة التي تجمع بين يد الأسير وعنقه ، وتسمى الجامعة .

٣ الشبا : جمع الشباة ، حد كل شيء .

صَوابٍ يفوز بثمرته أو خطإٍ يُشارِكُ في مكروهه ؛ فقلت له : أنت والله في قولِكَ هذا أشعرُ منك في شعرك .

بشار والمعلى

كان بشّارٌ جالساً في دار المهديّ والناس ينتظرون الإذنَ ، فقال بعضُ موالي المهديّ لمن حضر : ما عندكم في قول الله عزّ وجلّ :

« وأوحى ربُّك الى النَّحلِ أن اتَّخذي من الجبال بُيوتاً ومن الشَّجرِ » ؟ فقال له بشّارٌ : النحلُ التي يعرفها الناس ؛ قال : هيهاتَ يا أبا مُعاذ ، النحلُ : بنو هاشمٍ ، وقوله : « يَخرُجُ من بُطُونِها شرابٌ مختلِفٌ ألوانُه فيه شِفاءٌ للناس » يعني العلم ؛ فقال له بشّار : أراني الله طعامَكَ وشرابَكَ وشِفاءَكَ فيما يخرجُ من بطون بني هاشم ، فقد أوسَعْتَنا غَثاثَةً[1] ؛ فغضِبَ وشَتَمَ بشّاراً ؛ وبلغ المهديّ الخبر فدعا بهما فسألهما عن القصة ، فحدّثه بشّارٌ بها ؛ فضحِكَ حتى أمسكَ على بطنه ، ثم قال للرجل : أجَلْ ! فجعل اللهُ طعامكَ وشرابكَ مما يخرج من بطون بني هاشمٍ ، فإنّك باردٌ غثٌّ . وقال محمد بن مَزْيد في خبره : إنّ الذي خاطبَ بشّاراً بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالي المهديّ المُعلّى بنُ طَرِيفٍ .

---

١ الغثاثة : الفساد في العقل ورداءة الكلام وفساده .

تنادره على خال المهدي

دخل يزيدُ بنُ منصور الحِمْيَرِيُّ على المهديّ وبشّارٌ بين يديه يُنشده قصيدةً امتدحه بها ، فلمّا فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحِمْيَرِيّ ، وكانت فيه غفلةٌ ، فقال له : يا شيخ ، ما صناعتُكَ ؟ فقال : أثقبُ اللؤلؤَ ؛ فضحك المهديّ ثم قال لبشّار : أعْزُبْ[1] ويلكَ ؛ أتتنادرُ على خالي ! فقال له : وما أصنع به ! يرى شيخاً أعمى يُنشدُ الخليفة شِعراً ويسأله عن صناعته !

ترفعه عن جواب لئيم

وقف على بشّار بعضُ المُجّان وهو يُنشد شِعراً ؛ فقال له : استُرْ شِعركَ هذا كما تستر عورتَك ؛ فصفّق بشّار بيديه وغضب وقال له : من أنت ويلك ؟ قال : أنا أعزّكَ الله رجل من باهلةَ[2] ، وأخوالي من سَلُول[3] ، وأصهاري عُكل[4] ، واسمي كلبٌ ، ومولدي

---

١ أعزب : ابعد .

٢ باهلة : قبيلة من قيس عيلان وهو اسم امرأة من همدان نسب ولدها اليها .

٣ سلول : قبيلة من هوازن وهم بنو مرة بن صعصعة وسلول أمهم نسبوا اليها .

٤ عكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم .

بأضاخ[1]، ومنزلي بنهر بلال[2]؛ فضحك بشّارٌ ثم قال: اذهب ويلك! فأنت عَتيق لؤمِك، قد علم الله أنك استترتَ منّي بحصون من حديد.

هزؤه وسخريته

مرّ بشّار بقاصٍّ بالبصرة فسمعه يقول في قصَصه: مَن صامَ رجباً وشعبانَ ورمضانَ بنى الله له قصراً في الجنة صَحنُه ألفُ فرسخ في مثلها، وعُلُوُّه ألفُ فرسخ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصيره عشرة فراسخ في مثلها، قال: فالتفت بشار الى قائده فقال: بئستْ والله الدارُ هذه في كانون الثاني!

قال الفضل بن سعيد: وحدثني رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوّج بالنّهاريّات[3] قال: تزوّجت امرأةً منهنّ فاجتمعت معها في عُلُوِ بيتٍ وبشار تحتنا، أو كنا في أسفل البيت وبشار في عُلُوهِ مع امرأة، فنهق حمارٌ في الطريق فأجابه حمارٌ في الجيران وحمارٌ في الدار، فارتجّت الناحية بنهيقها، وضرب الحمار الذي في الدار

---

١ أضاخ: قرية من قرى اليمامة لبني نمير.

٢ نهر بلال بالبصرة احتفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وجعل على جنبيه حوانيت ونقل اليها السوق.

٣ لعلها نسبة الى بني النهاري: قبيلة من الأشراف باليمن.

الارض برجله وجعل يَدُقُّها بها دقّاً شديداً ، فسمعتُ بشاراً يقول للمرأة : نُفِخَ - يعلم الله - في الصُّور وقامت القيامة ؛ أما تسمعين كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم يلبث أن فَزِعتْ شاةٌ كانت في السطح فقطعت حبلها وعدَت فألقت طبقاً وغَضارةً[1] الى الدار فانكسرا ، وتطاير حمامٌ ودجاجٌ كنّ في الدار لصوت الغضارة ، وبكى صبيٌّ في الدار ؛ فقال بشار : صحّ والله الخبر ونُشِرَ أهلُ القبور من قبورهم ، أزِفَتْ - يشهدُ الله - الآزفةُ وزُلزِلت الارض زِلزالَها ؛ فعجِبْتُ من كلامه وغاظني ذلك ؛ فسألت : مَن المتكلم ؟ فقيل لي : بشارٌ ، فقلت : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا غيرُ بشارٍ .

قال[2] : مرّ بشار برجل قد رمحته[3] بغلةٌ وهو يقول : الحمد لله شكراً ! فقال له بشار : استزِدهُ يزِدْكَ . قال : ومرّ به قومٌ يحملون جنازة وهم يُسرعون المشي بها ، فقال : ما لهم مسرعين ! أتُراهم سرقوه فهم يخافون أن يُلحَقوا فيُؤخذ منهم !

رثاؤه لابنه

تُوفّي ابنٌ لبشار فجزع عليه ؛ فقيل له : أجرٌ قدّمته ، وفرَطٌ

---

١ الغضارة : القصعة الكبيرة فارسية .

٢ الحديث لقدامة بن نوح .

٣ رمحته : رفسته .

افترطَتَه[1] ، وذُخرٌ أحرزتَه ، فقال : ولدٌ دفنتُه ، وثُكلٌ تعجّلتُه، وغيبٌ وُعِدتُه فانتظرتُه، والله لئن لم أجزعْ للنقص لا أفرح للزيادة.
وقال يَرثيه :

أجارتَنـا لا تجزعـي وأنيبي
أتاني من الموت المُطـلّ نَصيبي[2]

بُنَيّي على رُغمي وسُخطي رُزِئتُـه
وبُدّلَ أحجاراً وجـالَ قليبٍ[3]

وكان كرَيحـان الغصون تَخالـه
ذوَى بعد إشراقٍ يَسرُّ وطيبِ

أُصيبَ بُنَيّي حين أورق غُصنُه
وألقى عليَّ الهَمّ كلُّ قـريبِ

عجِبتُ لاسراع المنيّـةِ نحوَه
ومـا كان لو مُلّيتُه بعجيبِ[4]

---

١ الفرط : ما لم يدرك من الولد . وافترط فلان ولده : مات له قبل ان يبلغ الحلم .
٢ انيبي : اقبلي الى الله ، وتوبي .
٣ الجال : الجانب ، والقليب في الأصل : البئر لأنها قلبت الأرض بالحفر ، والمراد هنا القبر .
٤ مليته : متعت به ، يقال : ملاك الله حبيبك اي متعك به وأعاشك معه طويلا .

من نوادره

رفع غلامُ بشارٍ اليه في حساب نفقته جِلاءَ مرآةٍ عشَرَةَ دراهم ، فصاح به بشارٌ وقـال : والله مـا في الدنيا أعجبُ من جِـلاءِ مرآةِ أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صَدِئت عـينُ الشمس حتى يبقى العالَمُ في ظُلمةٍ ما بلغتْ أجرةُ مَن يجلوها عشرةَ دراهم .

اعتذاره عن شعره الغث

قلتُ لبشار[١] : إنك لتَجيء بالشيءِ الهَجين المتفاوت ، قال : وما ذاك ؟ قال قلتُ : بينما تقول شعراً تُثير به النقع وتخلعُ به القلوب ، مثل قولك :

اذا مـا غضبنا غَضبـةً مُضَرِيَّةً
هتكنا حِجاب الشمس أو تُمطِرَ الدَّما[٢]

إذا مـا أعرْنا سيّداً من قبيلـةٍ
ذُرى مِنبرٍ صلّى علينـا وسَلَّمـا[٣]

---

١ الحديث لأحمد بن خلاد عن ابيه .

٢ يقول : اذا ما غضبنا غضبة شريفة سللنا سيوفنا فغضحنا بالمعانها لمعان اشعة الشمس ، الى ان تكتسي بدماء اعدائنا ، فيذهب لمعانها ويعود لمعان اشعة الشمس .

٣ اي ان الذي يعيرونه منبرهم يصلي على محمد وآله . ومحمد من مضر فكأنه صلى على مضر كلها . وبشار ينتسب بالولاء الى بني عقيل وهم مضريون .

تقول :

رَبابةُ ربّةُ البيتِ
تصبُّ الخلَّ في الزيتِ

لها عَشْرُ دجاجاتٍ
وديكٌ حَسَنُ الصّوتِ

فقال : لكلٍّ وجهٌ وموضعٌ ، فالقول الأوّل جدٌّ ، وهذا قلتُه في رَبابةَ جاريتي ، وأنا لا آكل البيض من السُّوق ، وربابةُ هذه لها عشرُ دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمع لي البيض وتحفظُه عندها ، فهذا عندها من قولي أحسَنُ مِن :

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ

عندكَ .

حشوه في الشعر

كان بشار يحشو شعره إذا أعوزَته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه :

غَنّني للغَريض يابنَ قنانِ

فقيل له : مَن ابنُ قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مُغنّي البصرة ، قال : وما عليكم منه ! ألكم قِبَلَهُ دينٌ فتطالبوه به ، أو ثأرٌ تريدون

أن تدركوه ، أو كفلتُ لكم بـه فإذا غـاب طالبتُموني بإحضاره ؟ قالوا : ليس بيننـا وبينه شيء من هذا ، وإنّمـا أردنا أن نعرِفَه ؛ فقال : هو رجلٌ يُغنّي لي ولا يخرج من بيتي ؛ فقالوا له : الى متى ؟ قال : مُذْ يومَ وُلدَ والى يوم يموتُ . قال[1] : وأنشدنا أيضاً في هذه القصيدة :

. . . .[2] ووافـا
ني هلالُ السماء في البرَدانِ

فقلنا : يا أبا مُعاذٍ ! أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفُه بالبصرة ؛ فقال : هو بيت في بيتي سمّيتُه البردان ، أفعليكم مِن تَسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه !

كنا[3] عند بشار يوماً فأنشدنا قوله :

وجاريةٍ خُلِقَـتْ وحدَهـا
كأنَّ النساءَ لديهـا خَـدَمْ

دُوَارُ العذارى إذا زُرنَـهـا
أطَفْنَ بحَوراءَ مثلِ الصَّنَمْ[4]

---

١ الكلام لقدامة بن نوح .
٢ بياض في جميع الأصول .
٣ الحديث ليحيى بن الجون راوية بشار .
٤ الدوار بضم الدال وفتحها : صنم كانت العرب تنصبه ، يجعلون موضعاً حوله يدورون به ، وهو وارد هنا على وجه التشبيه .

ظَمِئتُ إليها فلم تَسقِني
بِرِيٍّ ولم تَشفِني من سَقَمْ

وقالت هَوِيتَ فمتْ راشداً
كما مات عُروةُ غمّاً بغَمّ[1]

فلمّا رأيتُ الهوى قاتِلي
ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عَمّ

دَسستُ إليها أبا مِجْلَزٍ
... ...

فقال له رجل : ومَن أبو مجْلزٍ هذا يا أبا مُعاذٍ ؟ قال : وما حاجتك اليه ! الك عليه دينٌ أو تُطالبُه بطائلةٍ[2] ! هو رجل يترددُ بيني وبين معارفي في رسائل. قال : وكان كثيراً ما يحشو شعره بمثل هذا .

بشار والقينة البصرية

كانت بالبصرة قَينةٌ لبعض وَلدِ سليمان بن عليّ وكانت مُحسنةً بارعة الظّرف ، وكان بشار صديقاً لسيّدها ومَدّاحاً له ، فحضر مجلسَه يوماً والجارية تغنّي ؛ فسُرّ بحضوره وشَرِبَ حتى سكِرَ

---

١ هو عروة بن حزام العذري صاحب عفراء .
٢ الطائلة : الثأر .

ونام ، ونهض بشّارٌ ؛ فقالت : يا أبا مُعاذ ، أُحبُّ أن تذكُرَ يومنا هذا في قصيدة ، ولا تذكرَ فيها اسمي ولا اسمَ سيّدي وتكتُبَ بها إليه ؛ فانصرف وكتب إليه :

وذاتِ دَلٍّ كأنَّ البدرَ صُورتُها
باتت تُغنّي عميدَ القلب سكرانا[1] :

« إنَّ العيون التي في طَرفِها حَوَرٌ
قَتَلْننا ثم لم يُحيِينَ قتلانا[2] »

فقلتُ : أحسنْتِ يا سُؤلي ويا أملي
فأسمعيني جزاكِ اللهُ إحسانا :

« يا حبّذا جبلُ الرّيان من جبلٍ
وحبّذا ساكنُ الريّانِ مَن كانا[3] »

قالتْ : فهلاّ ، فدَتكَ النفس ، أحسنُ مِن
هذا لِمَنْ كان صبَّ القلبِ حيرانا :

« يا قوم أذْني لبعض الحيّ عاشقةٌ
والأذن تَعشقُ قبل العين أحيانا »

---

١ عميد القلب : مريضه ، يقال : قلب عميد اذا هده العشق وكسره .

٢ و ٣ هذان البيتان لجرير ضمنهما بشار في أبياته . والريان : جبل في ديار طيء لا يزال يسيل منه الماء .

فقلت : أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةٌ
أضرمتِ في القلبِ والأحشاءِ نيرانا

فأسمِعيني صوتاً مُطرباً هَزَجاً
يزيد صَبّاً مُحِبّاً فيكِ أشجانا[1]

يا ليتني كنتُ تفّاحاً مُفلّجةً
أو كنت من قُضبِ الريحان رَيحانا[2]

حتى اذا وجَدَتْ ريحي فأعجَبَها
ونحن في خَلوةٍ مُثّلْتُ إنسانا

فحَرّكَتْ عُودَها ثم انثنتْ طَرَباً
تشدو به ثم لا تُخفيه كِتمانا :

« أصبحتُ أطوَعَ خَلقِ الله كُلّهِمِ
لأكثرِ الخلق لي في الحبِّ عِصيانا »

فقلتُ : أطربْتِنا يا زَينَ مجلِسنا
فهاتِ ! إنّكِ بالإحسان أولانا

لو كنتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتلُني
أعدَدتُ لي قبل أن ألقاكِ أكفانا

---

١ الهزج : ضرب من ضروب الأغاني فيه تطريب بتدارك الصوت وتقاربه .
٢ مفلجة : مقسمة ، ويريد بذلك أنها اذا قسمت كانت أسطع نفحاً واضوع شذاً وطيباً .

فغنَّتِ الشَّرْبَ صَوتاً مُؤنِقاً رَمَلا
يُذكي السُّرورَ ويُبكي العينَ ألوانا[1] :

«لا يقتُلُ اللهُ مَن دامتْ مَودَّتُهُ
واللهُ يقتُلُ أهلَ الغدرِ أحيانا»

ووجّه بالأبيات إليها ، فبعث إليه سيّدُها بألفَي دينار وسُرَّ بها سروراً شديداً .

هجاؤه لاعرابى أغضبه

دخل أعرابيٌّ على مَجزَأةَ بنِ ثور السَّدُوسيِّ وبشّارٌ عنده وعليه بِزّةُ الشعراء ، فقال الأعرابيّ : مَن الرجل ؟ فقالوا : رجلٌ شاعرٌ ؛ فقال : أمَوْلىً هو أم عربيٌّ ؟ قالوا : بل مولىً ؛ فقال الأعرابيّ : وما للموالي وللشعر ! فغضب بشّارٌ وسكت هنيهة ، ثم قال : أتأذنُ لي يا أبا ثورٍ ؟ قال : قل ما شئتَ يا أبا مُعاذ ؛ فأنشأ بشّارٌ يقول :

خليلي لا أنامُ على اقتسارِ
ولا آبى على مَولىً وجارِ[2]

---

١ مؤنقاً : معجباً ، يقال : آنقني الشيء فهو مؤنق وأنيق كما يقال مؤلم وأليم . والرمل : ضرب من الأغاني .

٢ الاقتسار : الضيم والقهر . المولى : الحليف .

سأخبرُ فاخرَ الأعراب عنّي
وعنه حين تأذنُ بالفَخارِ

أحين كُسيتَ بعد العُري خزّاً
ونادمْتَ الكِرامَ على العُقارِ

تُفاخرُ يابنَ راعيةٍ وراعٍ
بني الأحرار حَسبُكَ من خَسارِ

وكنتَ إذا ظمِئتَ الى قَراحٍ
شَرِكتَ الكلبَ في ولْغِ الإطارِ[1]

تُريغُ بخُطبةٍ كسرَ الموالي
ويُنسيكَ المكارمَ صيدُ فارِ[2]

وتغدو للقنافذ تدّريها
ولم تَعقِلْ بدَرّاجِ الدِّيارِ[3]

---

١ من معاني الاطار : ما حول البيت ، فلعله المراد هنا وأن الكلب يلغ في المياه الراكدة حول الدور .

٢ تريغ : تريد وتطلب .

٣ تدريها : تختلها لتصيدها . الدراج : القنفذ . يقول تغدو لصيد القنافذ ولا ترجع بواحد منها يدرج حول الديار لانك لا تحسن الا صيد الفأر . وقد عدى تعقل ، اي تعتقل ، بالباء وهو يتعدى مباشرة .

وتتّشحُ الشّمالَ للابسيها
وترعى الضأنَ بالبلدِ القِفارِ[1]

مُقامُكَ بيننا دَنَسٌ علينا
فليتَكَ غائبٌ في حَرِّ نارِ

وفخرُكَ بين خنزيرٍ وكلبٍ
على مِثلي من الحدَثِ الكُبارِ

فقال مجزأةُ للأعرابيّ : قَبّحكَ الله ! فأنت كسَبْتَ هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالِك !

شر لسانه

حضرَ بشّارٌ باب محمد بن سليمان ، فقال له الحاجب : اصبر ؛ فقال : إنَّ الصبرَ لا يكون إلاّ على بليّةٍ ؛ فقال له الحاجب : إنّي أظنُّ أنّ وراء قولِكَ هذا شرّاً ولن أتعرّض له ، فقم فادخُل .

قال هلال الرأي – وهو هلال بنُ عطيةَ – لبشّارٍ وكان له صديقاً يمازحه : إنّ الله لم يُذهِبْ بصرَ أحد إلاّ عوّضه بشيء ، فما عوّضك؟ قال : الطويلَ العريض ؛ قال : وما هذا ؟ قال : ألاّ أراكَ ولا

١ تتشح : لعلها في الاصل تنسج . والشمال : جمع شملة وهي الكساء يتشح به . يعيره بأنه ينسج الثياب لغيره وهو عار .

أمثالك من الثقلاء. ثم قال له : يا هلال أتُطيعُني في نصيحة أخُصُّكَ بها ؟ قال : نعم ؛ قال : إنك كنتَ تسرقُ الحمير زماناً ثم تُبْتَ وصِرت رافضياً ، فعُد الى سرقة الحمير ، فهي والله خـيرٌ لك من الرّفض[1] .

وكان هلال يُستَثقَلُ ، وفيه يقول بشّارٌ :

وكيف يخِفُّ لي بصري وسمعي
وحَولي عَسكرانِ من الثّقالِ

قُعُوداً حول دَسكَرتي وعندي
كأنّ لهم عليّ فضولَ مالِ[2]

إذا ما شئْتُ صبّحني هِلالٌ
وأيُّ النّاس أثقلُ من هلالِ ؟

وقال محمد بن سلام وغيره :

مرّ أبنُ أخي بشّارٍ به ومعه قومٌ ؛ فقال لرجل معه : مَن هذا ؟ فقال : ابن أخيك ؛ قال : أشهد أن أصحابه أنذالٌ ؛ قال : وكيف علِمتَ ؟ قال : ليست لهم نِعالٌ .

---

١ الرفض : مذهب الرافضة وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ثم قالوا له : تبرأ من الشيخين ، فأبى فرفضوه وانفضوا عنه فسموا الرافضة .

٢ الدسكرة : بناء كالقصر ، وهي أيضاً : الأرض المستوية .

دقة حسه

قال[١] : مررت ببشّار يوماً وهو جالس على بابه وحده وليس معه خَلقٌ وبيده مِخصَرَةٌ[٢] يلعب بها وقدّامه طبقٌ فيه تفّاحٌ وأترُجٌ[٣] ، فلما رأيته وليس عنده أحدٌ تاقتْ نفسي الى أن أسرِقَ ما بين يديه ، فجئت قليلاً قليلاً وهو كافّ يده حتى مَدَدتُ يدي لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب به يدي ضربةً كاد يكسِرُها ، فقلت له : قطع الله يدكَ أنت الآن أعمى ! فقال : يا أحمق ، فأينَ الحِسُّ !

وصفه لنساء جئن مجلسه

كان لبشّار في داره مجلسان : مجلسٌ يجلس فيه بالغداة يُسمّيه « البَردانَ » ومجلسٌ يجلس فيه بالعَشيّ اسمه « الرَّقيق » ، فأصبح ذات يومٍ فاحتجم[٤] وقال لغلامه : أمسكْ عليّ بابي واطبُخ لي من طيّب طعامي وصَفِّ نبيذي ؛ قال : فإنه لكذلك إذ قُرِعَ البابُ

١ الحديث لابي دهمان الغلابي .

٢ المخصرة : ما اختصر الانسان بيده فأمسكه من عصا أو قضيب ، وقيل : المخصرة شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه .

٣ الأترج : ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب .

٤ الاحتجام : طلب الحجامة وهي ان يشرط الجلد بالمشراط ثم يلقى في كأس الحجام قرطاس ملتهب او قطن او نحوه ويلزم بها مكان الشرط فتجذب الدم بقوة الامتصاص .

قرعاً عنيفاً ، فقال : ويحك يا غلام ! أنظر مَن يدقُ الباب دقَّ الشُرَطِ ، قال : فنظر الغلام فقال له : نسوةٌ خمسٌ بالباب يَسألن أن تقول لهنَّ شعراً ينُحن بـه ؛ فقال : أدخِلهُنَّ ، فلمّا دخلنَ نظرنَ الى النبيذ مُصفّىً في قنانيّه في جانب بيته ؛ قال : فقالت واحدةٌ منهنَّ : هو خمرٌ ، وقالت الأخرى : هو زبيبٌ وعسلٌ ، وقالت الثالثة : نقيعُ زبيبٍ ؛ فقال : لستُ بقائلٍ لكنَّ حرفاً أو تَطعَمْنَ من طعامي وتشرَبنَ من شرابي ؛ قال : فتماسكنَ ساعةً ، ثم قالت واحدةٌ منهنَّ : ما عليكنَّ ! هو أعمى فكُلنَ من طعامه واشرَبنَ من شرابه وخذْنَ شعرَه ؛ فبلغ ذلك الحسَنَ البصريَّ فعابه وهتف ببشّار ، فبلغه ذلك - وكان بشّار يُسمّي الحسَنَ البصريَّ القَسَّ - فقال :

لمّا طَلَعنَ من الرَّقيـ
ق عليَّ بالبَردانِ خمسَا

وكأنهـنَّ أهلّـةٌ
تحت الثيابِ زَفَفْنَ شمسا

باكَرْنَ عِطرَ لطيمَةٍ
وغَمِسْنَ في الجادِيِّ غمسا[1]

---

[1] اللطيمة : نافجة المسك . والجادي : الزعفران .

لمّا طَلعْنَ حَففنَها
وأصخْنَ ما يَهمِسنَ همسا[1]

فسألنني مَن في البيو
تِ فقلتُ ما يؤوِينَ إنسا

ليتَ العيونَ الطارفا
تِ طُمِسنَ عنّا اليوم طَمسا

فأصَبنَ من طُرَفِ الحدي
ثِ لذاذةً وخرَجنَ مُلسا[2]

لولا تعرُّضُهُنَّ لي
يا قَسُّ كنتُ كأنت قَسّا

منعه عن الغزل

قال[3] : جئتُ بشاراً ذات يومٍ فحدَّثني ، قال : ما شعرتُ منذ أيام إلاَّ بقارع يقرَع بابي مع الصُّبح ، فقلت : يا جارية انظري مَن هذا ، فرجعت إليَّ وقالت : هذا مالكُ بن دينار ؛ فقلت : ما هو من أشكالي ولا أضرابي ، ثم قلت : إئذَني له ، فدخل فقال : يا أبا

١ لعله أراد حففن القناني اي أحدقن بها .
٢ أي ملس من العيب أي ليس فيهن عيب .
٣ الحديث لجعفر بن محمد النوفلي .

معاذ ، أتشتمُ أعراض الناس وتُشبّب بنسائهم ! فلم يكن عندي إلاّ أن دفعتُ عن نفسي وقلت : لا أعود ، فخرج عنّي ، وقلت في أثره :

غَدا مالكٌ بملاماته
عليَّ وما باتَ من باليَهْ

تناولَ خَوداً هضيمَ الحشى
من الحُور محظوطةً عاليه[1]

فقلتُ : دَعِ اللّومَ في حبّها
فقبلكَ أعيَتْ عُذّاليَهْ

وإنّي لأكتُمُهم سِرّها
غداةَ تقول لها الجاليه[2]

عُبيدةُ ما لكِ مسلوبةً
وكنتِ مُعطّرةً حاليَه[3] ؟

فقالت على رِقبةٍ : إنّني
رَهنتُ المُرَعّثَ خلخاليَه[4]

---

١ المحظوطة : ذات الحظ وربما كانت محرفة عن محطوطة أي ممدودة حسنة مستوية ، ولا يخفى ما بين اللفظين محظوطة وعالية من المقابلة .

٢ الجالية : الماشطة التي تجلو المرأة وتزينها .

٣ مسلوبة : أي مسلوبة الحلي .

٤ على رقبة : على تحفظ واحتراس . والمرعث : لقب بشار .

بمجلس يوم سأوفِي بـه
ولو أجلبَ الناسُ أحواليَهْ[1]

شعره في فاطمة

كان أول بَدْء بشّار أنه عشِق جارية يقال لها فاطمة ، وكان قد كُفَّ وذهب بصرُه[2]، فسمعها تغنّي فهَوِيَها وأنشأ يقول :

درّةٌ بَحْريّةٌ مكنونةٌ
مازهـا التاجرُ من بـيْن الدُّرَرْ

عجبتْ فَطْمةُ من نَعتي لها
هل يُجيد النّعتَ مكفوف البصرْ؟

أمَتـا بَـدَّدَ هـذا لُعَبي
ووِشاحي حَلَّهُ حتى انتثَرْ[3]

أقبلتْ مُغضَبةً تضرِبهـا
واعتراها كجنونٍ مُستعِرْ

---

١ اجاب الناس : صاحوا وضجوا . أحواليه : من حولي .

٢ لم يكن بشار يبصر ثم كف وذهب بصره ، ولكنه ولد اعمى .

٣ أمتا : أمة وهي المملوكة مضافة الى ياء المتكلم المحذوفة والمعوض عنها بالتاء ، ويجوز في هذه التاء الفتح والكسر وهو الأكثر . الوشاح : شبه قلادة من أديم عريض يرصع بالجوهر تشدها المرأة بين عاتقها وخاصرتها . وقوله انتثر أي تبدد ما عليه من الجوهر .

بأبي واللهِ ما أحسنَهُ
دمعُ عينٍ يَغسِلُ الكحلَ قَطَرْ

أيُّها النُّوّام هُبّوا وَيحَكم
واسألوني اليومَ ما طعمُ السَّهرْ

سكوته عن رجل عبث به

مررتُ أنا[1] ورجل من عُكْل من أبناء سوّار بن عبدالله بقصر أوس[2]، فإذا نحن ببشّار في ظلّ القصر وحدَه، فقال لي العُكْليّ: لا بدّ لي من أن أعبَث ببشّار؛ فقلت: وَيحك! مَهْ لا تعرّض بنفسك وعِرْضِك له؛ فقال: إنّي لا أجده في وقتٍ أخلى منه في هذا الوقت؛ قال: فوقفتُ ناحيةً ودنا منه فقال: يا بشّار؛ فقال: من هذا الذي لا يَكْنيني ويدعوني باسمي؟ قال: سأخبرك من أنا، فأخبِرْني أنت عن أمّك: أوَلدتْك أعمى أم عميت بعدما ولدتْك؟ قال: وما تريد الى ذلك؟ قال: وَدِدتُ أنّه فُسِحَ لك في بصرك ساعة لتنظر الى وجهك في المرآة، فعسى أن تُمْسِكَ عن هجاء الناس وتعرفَ قَدْرَكَ؛ فقال: وَيحكم! مَن هذا؟ أما أحدٌ يُخبرني مَن

---

١ الحديث للحكم بن مخلد.

٢ قصر أوس بالبصرة ينسب الى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة، وكان قد ولي خراسان في عهد الدولة الأموية.

هذا ؟ فقال له : على رِسلك ، أنا رجل من عُكْل وخالي يبيع الفَحم بالعَبلاء[1] فما تقدِر أن تقول لي ؟ قال: لا شيء ، إذهب ، بأبي أنت ، في حِفْظ الله .

مدحه لخالد بن برمك

كان الزُوَّار يُسمَّون في قديم الدَّهر الى أيام خالد بن بَرْمك السُؤَّالَ ؛ فقال خالد: هذا والله اسم أستثقله لطُلاَّب الخير ، وأرفَع قدر الكريم عن أن يُسمَّيَ به أمثال هؤلاء المؤمَّلين ، لأن فيهم الأشرافَ والأحرار وأبناء النَّعيم ومن لعلَّه خيرٌ ممن يقصِد وأفضلُ أدباً ، ولكنَّا نسمِّيهم الزُوَّار ؛ فقال بشّار يمدَحه بذلك :

حذا خالدٌ في فعله حَذوَ بَرْمك
فمجدٌ له مُستطرَفٌ وأصيلُ

وكان ذوو الآمالِ يُدعَوْنَ قبلَهُ
بلفظٍ على الإعدام فيه دَليلُ[2]

يُسمَّون بالسُؤَّال في كلِّ مَوطنٍ
وإن كان فيهم نابهٌ وجَليلُ

---

١ العبلاء : قرية وتربة وادٍ من أودية الحجاز، أسفله لبني هلال والضباب وسلول، وأعلاه لخثعم ، وهناك كان بيت ذي الخلصة الذي يحجون اليه .

٢ الاعدام : الفقر .

فسمّاهمُ الزُّوّارَ سَتراً عليهمُ
فأستارُهُ في المُجْتَدينَ سُدولُ

وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزُّوّار ، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم .

هيبة الناس له

قالت امرأة لبشّار : ما أدري لِمَ يَهابُكَ الناسُ مع قبح وجهك !
فقال لها بشّار : ليس من حُسنِهِ يُهاب الأسدُ .

ملاحاته لعقبة

دخل بشّار على عُقبة[1] بن سَلْم ، فأنشده بعضَ مدائحه فيه وعنده عقبة بن رُؤبة يُنشِده رجَزاً يمدَحه به ، فسمعه بشّار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ ؛ ثم أقبل على بشّار فقال : هذا طرازٌ لا تُحسِنه أنت يا أبا مُعاذ ؛ فقال له بشّار : أَلِي يُقال هذا ! أنا والله أرجَزُ منكَ ومن أبيك وجدّك ؛ فقال له عقبة : أنا والله وأبي فتَحنا للناس باب الغريب وباب الرَّجز ، ووالله إنّي لخليق أن أسُدَّه عليهم ؛ فقال بشّار : ارحمْهم رحمك الله ! فقال عقبة : أتستخفُّ بي يا أبا مُعاذ

١ كان عقبة والياً على البصرة من قبل أبي جعفر المنصور وكان عاتياً جباراً .

وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر! فقال له بشّار: فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرّجْس وطهّرهم تطهيراً؛ ثمّ خرج من عنده عقبة مُغْضَباً. فلمّا كان من غدٍ غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رُؤبة، فأنشده أرجوزتَه التي مدحه فيها:

يا طَلَلَ الحيّ بذات الصَّمْدِ
بالله خبّرْ كيف كنتَ بعدي[1]

أوْحَشْتَ من دعدٍ وتِرْبِ دعدِ
سَقياً لأسماءَ ابنةِ الأشَدِّ

قامتَ تَراءَى إذ رأتني وَحدي
كالشّمس تحتَ الزِّبرِجِ المُنْقَدّ[2]

صدّتْ بخدٍّ وجلَتْ عن خدّ
ثمّ انثنتْ كالنَّفَسِ المُرتَدّ

عَهدي بها سَقياً له من عَهدِ
تُخلِفُ وعداً وتَفِي بوعدِ

فنحن من جهد الهوى في جَهْدِ
وزاهرٍ من سَبِطٍ وجَعْدِ[3]

---

١ الصمد: موضع في ديار بني يربوع، وقيل ماء للضباب.

٢ الزبرج: السحاب. والمنقد: المتقطع.

٣ السبط: المسترسل ضد الجعد: صفتان للشعر الزاهر اي الحسن اللون المشرق.

أهدى له الدّهرُ ولم يَستهدِ
أفوافَ نَـوْرِ الحِبَرِ المُجَدِّ[1]

يلقَى الضُّحى رَيحانُه بسَجْدِ
بُدِّلْتُ من ذاكَ بُكًى لا يُجدِي

وافقَ حظّاً مَن سَعى بجَدِّ
ما ضرَّ أهلَ النَّوكِ ضعفُ الجِدِّ[2]

الحُرُّ يُلحَى والعصا للعبدِ
وليس للمُلحِفِ مثلُ الرَّدِّ

والنَّصْفُ يَكفيكَ من التعدِّي
وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ[3]

حملتُه في رُقعةٍ من جِلدِي
أرقبُ منه مثلَ يومِ الوِردِ[4]

حتى مضى غيرَ فقيدِ الفَقْدِ
وما درَى ما رُغْبتي من زُهدي

---

١ استهدى فلان : طلب أن يهدى له . الأفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن تشبه به الازهار. والحبر: جمع حبرة كعنبة وتصبة وهي ضرب من برود اليمن منمر .

٢ النوك : الحمق والجهل .

٣ النصف : الانصاف . المد : من أمد الجرح : حدثت فيه المدة ، القيح .

٤ الورد : من أسماء الحمى .

اسلَمْ وحُيِّيتَ أبا الملَدّْ
مفتاحَ باب الحدَث المنسدّْ

مُشترَكَ النَّيل وريَّ الزَّندِ
أغرَّ لبَّاسَ ثيابِ الحمدِ

ما كان منّي لك غيرُ الوُدّْ
ثمَّ ثناءٌ مثلُ ريح الوَرْدِ

نسجتُه في مُحْكَماتِ السَّردْ
فالبَسْ طِرازي غيرَ مُستَردّْ[1]

لله أيّامُك في مَعَدّْ
وفي بني قحطانَ غيرَ عَدّْ

يوماً بذي طِخْفَةَ عند الحدّْ
ومثلَه أودَعْتَ أرضَ الهندِ[2]

بالمرْهَفاتِ والحديدِ السَّردِ
والمُقرَباتِ المُبْعَداتِ الجُرْدِ[3]

---

١ الطراز : ما نسج للسلطان من الثياب .

٢ طخفة : موضع بعد النباج وبعد امرة في طريق البصرة الى مكة ، وفيه يوم طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

٣ السرد : اسم جامع للدروع وسائر الحلق . المقربات : الخيول التي تقرب مرابطها لكرامتها . والمبعدات : الخيول التي تبعد عن مرابطها حين تقاد الى الحرب .

إذا الحيا أكْدَى بها لا تُكْدي
تُلحِمُ أمراً وأموراً تُسدي[1]

وابنُ حكيمٍ إن أتاكَ يَرْدي
أصمُّ لا يَسمَعُ صوتَ الرَّعدِ[2]

حيَّيتَه بتُحفَةِ المُعِدَّ
فانهدَّ مثلَ الجبل المنْهَدِّ[3]

كلُّ امرئٍ رَهنٌ بما يُؤدِّي
ورُبَّ ذي تاجٍ كريم الجَدِّ

كآلِ كِسرى وكآلِ بُردِ
أنكَبَ جافٍ عن سبيل القصدِ[4]

فَصَلته عن ماله والوُلْدِ

فطرب عُقبةُ بن سَلْم وأجزل صِلتَه ، وقام عقبةُ بن رُؤبةَ فخرج عن المجلس بخِزْيٍ ، وهرب من تحت ليلته فلم يَعُدْ اليه .

وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر الى سُوءِ أدب عُقبةَ بن رُؤبة

---

١ الحيا : المطر . وأكدى : بخل . تلحم : تنسج اللحمة وهي ما نسج في الثوب عرضاً بخلاف السدي وهو ما مد من خيوطه طولا .

٢ يردي : يعدو .

٣ المعد : الكامل العدة للحرب .

٤ الأنكب : المائل ، يقال : رجل أنكب عن الحق وناكب عنه أي مائل .

وقد أجملَ بشّار محضَرَه وعِشْرتَه ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلَم خلقِ الله به لأنه قال له وقد فاخره بشعره : أنت يا بُنيّ ذهبانُ الشّعرِ إذا مُتّ مات شعرُكَ معك ، فلم يوجد مَن يَرْوِيه بعدكَ ؛ فكان كما قال له ، ما يُعرَفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غيرُ هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدّالّ على سُخْفه وسقوطه وسُوءِ أدَبه .

هواه لعبيدة

كان بشّار يَهوى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عُبيدَةُ ، فخرجتْ عن البصرة الى عُمان[1] مع زوجها ، فقال بشّارٌ فيها :

هوًى صاحبي ريحُ الشّمال إذا جرَتْ
وأشفَى لقلبي أن تهُبّ جَنُوبُ

وما ذاكَ إلاّ أنّها حين تنتهي
تَناهى وفيها من عُبيدَةَ طِيبُ

عَذيري من العُذّال إذ يَعذِلونَني
سَفاهاً وما في العاذلين لبيبُ

يقولون : لو عَزّيتَ قلبَكَ لارعَوَى
فقلتُ : وهل للعاشقين قلوبُ ؟

---

١ اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند .

إذا نطقَ القومُ الجلوسُ فإنني
مُكِبٌّ كأني في الجميع غريبُ[1]

بشار وأبو الشمقمق

جاء أبو الشَّمَقْمَقِ الى بشّار يشكو اليه الضِّيقَة[2] ويحلف له أنه ما عنده شيء ؛ فقال له بشّار : والله ما عندي شيء يُغنيك ولكن قُمْ معي الى عُقبة بن سَلْم ، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعرٌ وله شكرٌ وثناءٌ ، فأمر له بخمسمائة درهم ؛ فقال له بشّار :

يا واحدَ العرب الذي
أمسى وليس له نَظيرُ

لو كان مثلَكَ آخَرٌ
ما كان في الدُّنيا فقيرُ

فأمر لبشّار بألفَي درهم ؛ فقال له أبو الشمقمق : نفعتَنا ونفعناك يا أبا مُعاذٍ ؛ فجعل بشّار يضحَك .

---

١ مكب : مطرق .

٢ الضيقة بالكسر وبفتح : الفقر وسوء الحال .

بشار وأبو جعفر المنصور

حجّ المنصورُ فاستقبلناه[1] بالرَّضْم الذي بين زُبالة[2] والشُّقوق ، فلمّا رحلَ من الشُّقُوق رَحَل في وقت الهاجرة فلم يركب القُبّة[3] وركب نَجيباً فسار بيننا ، فجعلت الشمسُ تضحكُ[4] بين عينيه ، فقال : إني قائلٌ بيتاً فمن أجازه وهبْتُ له جُبّتي هذه ، فقلنا : يقول أمير المؤمنين ، فقال :

وهاجرةٍ نَصبتُ لها جَبيني
يُقطّعُ ظَهرُها ظَهرَ العظَايَه[5]

فبدر بشّار الأعمى فقال :

وقفتُ بها القَلُوصَ ففاض دمعي
على خدّي وأقصرَ واعِظايَه

فنزع الجبّة وهو راكب فدفعها اليه . فقلتُ لبشّار بعد ذلك : ما فعلتَ بالجُبّة ؟ فقال بشّارٌ : بعتُها والله بأربعمائة دينار .

---

١ الحديث لزحر بن حصن .

٢ زبالة : منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة وهي قرية عامرة بها أسواق . والشقوق : منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة .

٣ القبة : الهودج .

٤ تضحك : تتلألأ .

٥ العظاية : دويبة ملساء تعدو وتتردد تشبه سام أبرص (أبو بريص) .

تعييره بشعره الغث

كان بشّار منقطعاً إليّ وإلى إخوتي[1] فكان يَغشانا كثيراً ، ثم خرج ابراهيمُ بنُ عبدالله فخرج معه عِدّةٌ منّا ، فلمّا قُتِلَ إبراهيم توارَينا ، وحبَس المنصور منّا عِدّةً من إخوَتي ، فلمّا وَلِيَ المهديُّ أمّنَ الناسَ جميعاً وأطلَق المحبوسين ، فقدِمتُ بغدادَ أنا وإخوتي نلتمِسُ أماناً من المهديّ ، وكان الشعراءُ يجلسُون بالليل في مسجد الرُّصافة[2] يُنشدون ويتحدّثون ، فلم أطْلِعْ بشّاراً على نفسي إلاّ بعد أن أظهر لنا المهديُّ الأمان ، وكتب أخي الى خليفته بالليل ، فصِحتُ به : يا أبا مُعاذٍ ، مَن الذي يقول :

أحبُّ الخاتمَ الأحمـ
ـرَ مِنْ حُبِّ مَواليهِ

فأعرض عنّي وأخذ في بعض إنشاده شعرَه ، ثم صِحْتُ : يا أبا مُعاذ ، مَن الذي يقول :

إنَّ سَلمَى خُلِقَتْ من قَصَبِ
قصبِ السكّرِ لا عظمِ الجَمَلْ[3]

---

١ الحديث لعبد الرحمن بن العباس عن أبيه .

٢ الرصافة : اسم لمواضع كثيرة والمراد هنا هي رصافة بغداد بالجانب الشرقي ، بناها المهدي .

٣ ويروى : انما عظم سليمى خلقي – قصب ... ... الخ .

وإذا أدنيتَ منها بصلاً
غلبَ المسكُ على ريح البصلْ

فغضِبَ وصاح : من الذي يُقرِّعنا بأشياءَ كنا نعبث بها في الحداثةِ فهو يُعَيِّرنا بها ! فتركته ساعةً ثم صِحتُ به : يا أبا مُعاذٍ ، مَن الذي يقول :

أخشابُ حقاً أنَّ دارَكِ تُزْعَجُ
وأنَّ الذي بيني وبينَكِ يَنْهَجُ[1]

فقال : وَيحكَ ! عن مثل هذا فسَلْ ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها ، وهي من جَيدِ شعره ، وفيه غِناءٌ :

فوا كَبِدا قد أنضجَ الشوقُ نصفها
ونصفٌ على نار الصَّبابة يَنضَجُ

وواحزَنا منهنَّ يَحففْنَ هودجاً
وفي الهودج المحفوفِ بدرٌ مُتَوَّجُ

فإن جئتَها بين النساء فقل لها
عليكِ سلامٌ مات مَنْ يتزوَّجُ

بكيتُ وما في الدمع منكِ خليفةٌ
ولكنَّ أحزاني عليكِ توَهَّجُ

---

١ ينهج : يبلى .

ووجدتُ هذا الخبر بخط ابن مَهرُويَه° فذكر أنه قال هذه القصيدة في امرأة كانت تَغشى مجلسَه وكان إليها مائلًا يقال لها خَشَّابة، فارسيّة، فزُوِّجَتْ وأُخرِجَتْ عن البصرة .

استحسانه لشعر

أنشدت[١] بشّاراً قصيدةً لي، فقال لي : أيَجيئُكَ شعرُكَ هذا كلّما شئتَ أم هذا شيء يجيئك في الفَينةِ[٢] بعد الفينةِ إذا تعمَّلتَ له[٣] ؟ فقلت : بل هذا شعرٌ يجيئني كلّما أردتُه؛ فقال لي : قل فإنك شاعر؛ فقلت له : لعلّك حابيتَني أبا مُعاذٍ وتجمّلتَ لي[٤] ، فقال : أنت أبقاكَ الله أهونُ عليّ من ذلك .

اعتذاره عن اساءة

كنت عند بشّارٍ الأعمى[٥] فأتاه رجلٌ فسلّم عليه ، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال : كيف ابنتي ؟ قال : في عافيةٍ ، تدعوك

---

١ الحديث لأبي النضير الشاعر .
٢ الفينة : الحين .
٣ تعملت له : تكلفت وتعنيت واجتهدت .
٤ لعله وتجملت لي بالجيم أي تكلفت الجميل وتظاهرت لي به .
٥ الحديث لرجل باهلي .

اليومَ ؛ فقال بشّار : يا باهليّ انهض بنا ، فجئنا الى منزلٍ نظيف وفرشٍ سَريّ[1] ، فأكلنا ، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية ، فلمّا أراد الانصراف قامت فأخذت بيد بشّار ، فلمّا صارا في الصحن أومأ إليها ليقبّلها ، فأرسلت يدَها من يده ، فجعل يجول في العَرْصة[2] ؛ وخرج المولى فقال : ما لك يا أبا مُعاذ ؟ فقال : أذنبتُ ذنباً ولا أبرحُ أو أقولَ شعراً ، فقال :

أتوبُ إليكَ من السيئات
وأستغفر اللهَ من فَعْلتي

تناولتُ ما لم أُرِدْ نيلَه
على جهلِ أمري وفي سَكرتي

ووالله واللهِ ما جئتُه
لعَمـدٍ ولا كان من هِمّتي

وإلّا فمتُّ إذاً ضائعاً
وعذّبني اللهُ في ميتَتي

فمنْ نال خيراً على قُبلة
فلا بارك اللهُ في قُبلَتي

---

١ سري : جيد .
٢ العرصة : ساحة الدار .

يستنجز وعدا

لمّا أنشد بشّارٌ أرجوزتَه :

يا طلَلَ الحيِّ بذات الصَّمْدِ

أبا الملدّ[1] عُقبةَ بن سَلْم أمر له بخمسين ألفَ درهم ، فأخّرها عنه وكيله ثلاثةَ أيام ، فأمرَ غلامَه بشّارٌ أن يكتبَ على باب عُقبة عن يمين الباب :

مـا زال مـا مَنّيتَني مـن هَمّي

والوعدُ غـمٌّ فأزح من غمّي

إن لم تُرِدْ حَمْدي فراقبْ ذمّي

فلمّا خرج عقبةُ رأى ذلك ، فقال : هذه من فَعَلاتِ بشار ، ثم دعا بالقَهْرَمانِ[2] فقال : هل حملتَ الى بشّارٍ ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيُّها الأمير نحن مُضيقونَ[3] وغداً أحملُها اليه ؛ فقال : زِدْ فيها عشرةَ آلاف درهم واحمِلها اليه الساعة ؛ فحمَلها من وقته .

---

١ هكذا وردت الكنية لعقبة المذكور في هذه الأرجوزة .

٢ القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

٣ مضيقون : ضيقو الحال .

نهي المهدي له

سألت[1] أبا عُبيدةَ عن السبب الذي من أجله نَهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال: كان أوّلُ ذلك استهتارَ نساء البصرة وشُبّانِها بشعره، حتى قال سَوّار بن عبدالله الأكبر ومالكُ بنُ دينار: ما شيءٌ أدعى لأهل هذه المدينة الى الفُسق من أشعار هذا الأعمى؛ وما زالا يَعِظانِه؛ وكان واصلُ بنُ عطاءٍ يقول: إن مِن أخدَع حبائل الشيطان وأغواها لَكَلِماتِ هذا الأعمى الملحِد. فلمّا كثُر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة الى المهديّ، وأنشدَ المهديَّ ما مدحه به، نهاه عن ذكر النساء وقولِ التشبيب، وكان المهديّ من أشدّ الناس غَيْرةً؛ قال: فقلت له: ما أحسَبُ شِعرَ هذا أبلغَ في هذه المعاني من شعر كُثَيِّرٍ وجَميلٍ وعُروةَ بنِ حِزام وقيس بن ذَريح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كلُّ مَنْ يسمع تلك الأشعار يعرِفُ المراد منها، وبشّار يُقارب النساءَ حتى لا يخفى عليهنّ ما يقولُ وما يُريدُ، وأيُّ حُرّةٍ حَصانٍ تسمع قول بشّار فلا يؤثّر في قلبها، فكيف بالمرأة الغَزِلة والفتاة التي لا همَّ لها إلاّ الرجال! ثم أنشد قوله:

قد لامني في خليلتي عُمَرُ
واللّومُ في غير كُنْهِه ضَجَرُ

---

١ الحديث لابي غسان دماذ.

قال: أفق، قلت: لا، فقال: بلى
قدْ شاع في الناس منكما الخبَرُ

قلت: وإذ شاع ما اعتذارُكِ ممّا
ليس لي فيه عندهم عُـذُرُ؟

ماذا عليهم وما لهم خَرِسوا
لو أنّهم في عيوبهم نظَرُوا

أعشَقُ وحدي ويؤخذُون بـه
كالتُّركِ تغزُو فتُؤخذُ الخزَرُ[1]

يا عجباً للخلاف يا عجبا
بِفِي الذي لام في الهوى الحجَرُ

حَسبي وحَسبُ الذي كَلِفْتُ به
مِنّي ومنه الحديثُ والنّظرُ

ثم قال له: بمثل هذا الشعر تَميل القلوبُ ويَلين الصّعْبُ.

وروده على خالد البرمكي

ورد بشّار على خالد بن بَرْمَك وهو بفارس فامتدحه، فوعده

[1] لعله الخزر وهم سكان ساحل بحر الخزر اي بحر قزوين.

ومَطَله ؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد ، فأخذ بلجام بغلته وأنشده :

أظلَّتْ علينا منكَ يوماً سحابةٌ
أضاءتْ لنا برقاً وأبطَا رشاشُها[1]

فلا غيمُها يُجلي فييأسَ طامعٌ
ولا غيثُها يأتي فيَرْوَى عطاشُها

فحبَس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال : لن تنصرف السحابةُ حتى تَبلُّك إن شاء الله .

تظاهره بالحج

كان رجلٌ يقال له سعد بن القَعقاع يتندّم[2] بشّاراً في المَجانة ، فقال لبشّار وهو يُنادمه : وَيحكَ يا أبا مُعاذ ! قد نسَبَنا الناس الى الزَّندقة، فهل لك أن تَحُجّ بنا حِجّةً تنفي ذلك عنّا ؟ قال : نِعْمَ ما رأيتَ ! فاشتَرَيا بعيراً ومَحْمِلاً وركِبا ، فلمّا مرّا بزُرارةَ[3]

---

١ الرشاش بكسر الراء : جمع رش بالفتح وهو المطر الخفيف .

٢ ليس لهذه الصيغة المستعملة هنا بمعنى كثرة المنادمة أثر في كتب اللغة ولعلها يتقدم بشاراً في المجانة أي أنه كان أكثر منه مجوناً .

٣ زرارة : محلة بالكوفة .

قال له : وَيحَكَ يا أبا مُعاذ ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ! مِلْ بنا الى زرارَة نتنعَّم فيها ، فإذا قفَلَ الحاجُ عارضناهم بالقادسية[1] وجَزَزْنا رؤوسَنا فلم يشُكَّ الناسُ أنّا جئنا من الحجّ ؛ فقال له بشّار : نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك ، وإنّي أخاف أن تفضَحنا . قال : لا تخفْ . فمالا الى زرارة فما زالا يشربانِ الخمر ، فلمّا نزلَ الحاجُّ بالقادسية راجعينَ ، أخذا بعيراً ومحمِلاً وجزّا رؤوسهما وأقبلا وتلقّاهما الناس يهنّئونهما ؛ فقال سعد بن القَعقاع :

ألم تَرَني وبشّاراً حَجَجنا
وكان الحجُّ من خيرِ التّجارهْ

خرجْنا طالبَيْ سَفَرٍ بعيدٍ
فمال بنا الطريقُ الى زُرارَهْ

فآبَ الناسُ قد حَجّوا وبَرّوا
وأُبْنا مُوقَرِين من الخسارَهْ

تنكبه عن الصلاة

كنّا[2] إذا حضرتِ الصلاة نقوم ويقعد بشّار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظرَ هل يصلّي ، فنعود والترابُ بحاله .

---

١ القادسية : بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر ميلاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال ، كانت بها وقعة القادسية التي هزم بها المسلمون الفرس .

٢ الحديث ليحيى عن بعض أصحاب بشار :

هجاؤه لثقيل

وأنشد أبو أيوب لبشّارٍ في رجل استثقله :

رُبّما يثقُلُ الجليسُ وإن كا
نَ خفيفاً في كِفّةِ الميزانِ

كيف لا تحمِلُ الأمانةَ أرضٌ
حَمَلتْ فوقها أبا سُفيانِ !

وقال فيه أيضاً :

هل لك في مالي وعِرْضي معاً
وكلّ ما يملك جيرانِيَهْ

واذهبْ الى أبعد ما يُنتَوَى
لا رَدّكَ الله ولا مالِيَه[1]

الوليد وغزل بشار

أنشدنا[2] الوليد بن يزيد قولَ بشّار الأعمى :

أيّها الساقيان صُبّا شَرابي
واسقياني من ريقِ بيضاءَ رُودِ[3]

---

١ ينتوى : يقصد .

٢ الحديث لمحمد بن عمران الضي .

٣ الرود : الشابة الحسنة الشباب، والأصل فيها الهمز وقد سهلت للضرورة .

إنّ دائي الظّمـا وإنّ دوائي
شَربةٌ من رُضابِ ثغرٍ بَرُودِ

ولها مَضحَكٌ كغُـرّ الأقاحِي
وحديثٌ كالوَشْي وشي البُرودِ

نزلتْ في السَّواد من حبّة القلـ
ـبِ ونالتْ زيادةَ المُستزيـدِ

ثم قالت : نلقاكَ بعد ليـالٍ
والليالي يُبْلِينَ كلّ جديـدِ

عندها الصبرُ عن لقـائي وعندي
زفراتٌ يأكلنَ قلبَ الحديـدِ

قال : فطرب الوليد ثم بكى حتى مزجَ كأسه بدمعه ، وقـال : إن فاتنا ذاكَ فهذا .

وصفه لقينة

دخل بشّار على المهديّ وقد عُرِضتْ عليه جاريةٌ مُغنّيةٌ فسمع غِناءَها فأطربه وقال لبشّار : قُل في صفتها شعراً ؛ فقال :

ورائحـةٍ للعيـن فيهـا مَخيلَـةٌ
إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بطْنَ صَعيدِ[1]

---

[1] الرائحة : واحدة الروائح وهي السحب التي تجيء رواحاً ، ويقابلها الغادية . المخيلة : الظن .

من المستهلاّتِ السُّرورَ على الفتى
خفا بَرقُها في عبقرٍ وعُقُودِ[1]

كأنَّ لساناً ساحراً في كلامها
أعِنَ بصوتٍ للقلوبِ صَيُودِ

تُميتُ به ألبابَنا وقلوبَنا
مِراراً وتُحيِيهنَّ بعد هُمُودِ

مدحه لعقبة

دخل بشّار يوماً على عُقبة بن سَلْمٍ فأنشده قوله فيه :

إنّما لَذّةُ الجَوادِ ابنِ سَلْمٍ
في عَطاءٍ ومَركَبٍ لِلِقاءِ

ليس يُعطيكَ للرَّجاءِ ولا الخوفِ
ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطاءِ

يَسقُطُ الطيرُ حيثُ ينتثرُ الحَبُّ
وتُغشى منازلُ الكُرَماءِ

لا أُبالي صَفْحَ اللئيمِ ولا تَجْري
دُموعي على الحَرونِ الصَّفاءِ

---

[1] خفا البرق يخفو خفواً : لمع وظهر . وقوله : في عبقر اراد ثيابها ، وتنسب الى قرية باليمن تسمى عبقر توشى بها الثياب والبسط ، وثيابها اجود الثياب .

فعلى عُقبةَ السلامُ مقيماً
وإذا سار تحت ظلّ اللواءِ

فوَصلَهُ بعشرة آلاف درهم .

الخلفان يرويان شعره

كنتُ[1] أشهدُ خلفَ بنَ أبي عمرو بن العلاء وخلفاً الأحمرَ يأتيان بشاراً ويُسلّمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا مُعاذ ، ما أحدثتَ ؟ فيخبرُهما وينشدُهما ويسألانِه ويكتبان عنه متواضعَين له حتى يأتي وقتُ الظهر ثم ينصرِفان عنه ، فأتياه يوماً فقالا له : ما هذه القصيدةُ التي أحدثتها في سَلْم بن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتْكما ، قالا : بلغنا أنكَ أكثرتَ فيها من الغريب ؛ فقال : نعم ، بلغني أنّ سَلْماً يتباصر[2] بالغريب ، فأحببتُ أن أوردَ عليه ما لا يعرفه ، قالا : فأنشِدناها ، فأنشَدَهما :

بَكّرا صاحبَيّ قبل الهَجيرِ
إنّ ذاكَ النّجاحَ في التّبكيرِ

حتى فرغ منها ؛ فقال له خلَف : لو قلتَ يا أبا مُعاذ مكان « إنّ ذاكَ النجاح » :

---

١ الحديث للاصمعي .

٢ يتباصر بالغريب : يظهر انه بصير به .

كان أحسن ؛ فقال بشّار : بَنيتُها أعرابيّةً وحشيّةً ، فقلتُ : « إنّ ذاكَ النجاحَ » كما يقول الأعراب البدويّون ، ولو قلتُ : « بَكّرا فالنجاحُ » كان هذا من كلام المولّدينَ ولا يُشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة ؛ فقام خَلَفٌ فقبّل بين عينيه ؛ وقال له خَلَفُ بنُ أبي عمرو يُمازحُه : لو كان عُلاثةُ[1] ولدَكَ يا أبا مُعاذٍ لفعلتُ كما فعل أخي ، ولكنّكَ مولىً ، فمدّ بشّارٌ يده فضربَ بها فخذَ خَلَفٍ وقال :

أرفُقْ بعمرٍو اذا حرّكت نِسبتَهُ
فإنّه عربيٌّ من قواريرِ

فقال له : أفعلتَها يا أبا مُعاذٍ! قال : وكان أبو عمرو يُغمَزُ في نسبه.

هجاؤه لرجل سبه

كنتُ[2] أسمعُ ببشّار قبل أن أراه ، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانَه وسُرعة جوابه وجودة شعره ، فاستنشدْتُهم شيئاً من شعره ،

---

١ يريد انه لو كان عربياً لقبله كما يدل على ذلك سياق الكلام. ويظهر انه لا يريد بعلاثة اسماً بعينه ولكنه اتى بهذا الاسم لأنه خاص بالعرب.

٢ الحديث لخلف الأحمر .

فأنشدوني شيئاً لم يكن بالمحمود عندي ، فقلت : والله لآتينّه ولأطأطئنّ منه ، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه ، فرأيته أعمى قبيحَ المنظر عظيم الجثّة ، فقلتُ : لعنَ اللهُ مَن يُبالي بهذا ، فوقفتُ أتأمّله طويلاً ، فبينما أنا كذلك إذ جاءَه رجلٌ فقال : إنّ فلاناً سبّكَ عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك ؛ فقال : أوَقد فعل ؟ قال : نعم ؛ فأطرق ، وجلس الرجل عنده وجلستُ ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يَرُدّ عليهم ، فجعلوا ينظرون اليه وقد دَرّت أوداجه[1]، فلم يلبثْ إلاّ ساعةً حتى أنشَدنا بأعلى صوته وأفخمِه :

. . . . يغتابُني
عند الأميرِ وهل عليّ أميرُ ؟

ناري مُحَرِّقةٌ وبيتي واسعٌ
للمعتَفين ومجلِسي مَعمُورُ

وليَ المهابةُ في الأحبّة والعِدا
وكأنّني أسَدٌ له تامُورُ[2]

غَرِثَتْ حَليلتُه وأخطأ صيدَه
فله على لَقَمِ الطريق زئيرُ[3]

قال : فارتعَدَتْ والله فرائصي واقشعرّ جلدي وعَظُمَ في عيني جداً ، حتى قلتُ في نفسي : الحمد لله الذي أبعدَني من شرّكَ !

---

١ درت : امتلأت دماً . الأوداج : جمع ودج ، عرق في العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة .
٢ التامور : عرين الأسد . ٣ غرثت : جاعت . لقم الطريق : متنه ووسطه .

مدح خالد بن برمك

مدح بشّارٌ خالدَ بنَ برمكٍ فقال فيه :

لعَمري لقد أجدى عليَّ ابنُ برمكٍ
وما كلُّ مَن كان الغِنى عنده يُجدِي

حَلَبتُ بشِعري راحتَيهِ فدرَّتا
سَماحاً كما درَّ السحابُ مع الرَّعدِ

إذا جئتَه للحمد أشرق وجهُهُ
إليكَ وأعطاكَ الكرامةَ بالحمدِ[1]

له نِعمٌ في القوم لا يستثيبُها
جزاءً وكيْلَ التاجر المُدَّ بالمُدِّ

مُفيدٌ ومِتلافٌ ، سبيلُ تُراثِهِ
إذا ما غدا أو راح كالجَزْرِ والمَدِّ[2]

أخالدُ إنَّ الحمدَ يبقى لأهله
جمالاً ولا تبقى الكنوزُ على الكَدِّ

فأطعِمْ وكُلْ من عارةٍ مُستردَّةٍ
ولا تُبقِها ، إنَّ العَواريَ للرَّدِّ

---

١ بالحمد : أي بدل الحمد .

٢ التراث: ما يخلفه الرجل لورثته. يريد ان ماله الذي هو ارث اولاده من بعده معرض ابداً للزيادة والنقصان .

فأعطاه خالدٌ ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعطيه في كلّ وِفادة خمسة آلاف درهم ، وأمر خالدٌ أن يُكتبَ هذان البيتان[1] في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه . وقال ابنه يحيى بن خالد : آخرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتين .

جود عمر بن العلاء

كان أبو الوزير مولى عبدِ القيس من عُمّال الخراج ، وكان عفيفاً بخيلًا ، فسأل عُمَرَ بنَ العلاء ، وكان جواداً شجاعاً ، في رجل فوهب له مائةَ ألف درهم ؛ فدخل أبو الوزير على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عُمَرَ بنَ العلاء خائنٌ ؛ قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : كَلّمتُ في رجل كان أقصى أمَلِه ألفَ درهم فوهب له مائة ألف درهم ؛ فضحك المهديّ ثم قال : « قل كلٌّ يعمَلُ على شاكلتِه » ، أما سمعت قول بشّار في عُمَر :

إذا دَهِمَتْكَ عِظام الأمورِ
فنَبّهْ لها عُمَراً ثمّ نَمْ

فتىً لا ينامُ على دِمْنَةٍ
ولا يشربُ الماءَ إلاّ بدَمْ[2]

---

[1] يريد البيتين الأخيرين .
[2] الدمنة : الحقد .

أوَما سمعتَ قول أبي العتاهيَة فيه :

إنَّ المطايا تشتكيكَ لأنها
قطَعَتْ إليكَ سباسِباً ورمالا

فإذا وَرَدنَ بنا وَردنَ مُخِفَّةً
وإذا رجَعنَ بنا رجعْنَ ثِقالا

أوَليس الذي يقول فيه أبو العتاهيَة :

يابنَ العلاءِ ويابنَ القَرْمِ مِرْداسِ
إني لأطرِيكَ في صَحْبي وجُلاّسي

حتى إذا قيل ما أعطاك من نشَبٍ
ألفيتُ من عظمِ ما أسديتَ كالناسي

ثم قال : مَنِ اجتمَعَتْ ألسُنُ الناس على مدحه كان حقيقاً أن يُصدِّقَها بفعله .

وصف بشار لجارية سوداء

كانت لبشّار جارية سوداء وفيها يقول :

وغادة سوداءَ برّاقة
كالماءِ في طيبٍ وفي لِينِ

كأنَّها صيغت لمن نالها
من عنبرٍ بالمسكِ مَعجُونِ

مبالغته في مدح عقبة

قال رجلٌ لبشّار : إنَّ مدائحكَ عُقبةَ بنَ سَلْمٍ فوق مدائحكَ كلِّ أحدٍ ، فقال بشّار : إنَّ عطاياه إيّايَ كانت فوق عطاءِ كلِّ أحد ، دخلتُ إليه يوماً فأنشدتُه :

حَرَّمَ اللهُ أن ترى كابنِ سَلْمٍ
عُقبةِ الخيرِ مُطعِمَ الفقراءِ

ليس يُعطيكَ للرجاءِ ولا الخوفِ
ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العطاءِ

يَسقطُ الطيرُ حيث ينتثرُ الحَبُّ
وتُغشى منازلُ الكُرماءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار ، وها أنا قد مدحتُ المهديَّ وأبا عُبيد الله وزيرَه – أو قال يعقوبَ بنَ داود – وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً ، أفألامُ على مدحي هذا !

أبو الشمقمق يبتز ماله

أمر عقبةُ بنُ سَلْمٍ الهُنائيُّ[1] لبشّارٍ بعشرة آلاف درهم ، فأخبرَ

١ الهنائي : نسبة الى هناءة بن مالك ، وبنو هناءة هم رهط عقبة بن سلم .

أبو الشمقمق بذلك فوافى بشاراً فقال له : يا أبا مُعاذٍ ، إني مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشِدون :

إنَّ بشّارَ بنَ بردٍ
تَيسٌ اعمى في سَفينَه[1]

فأخرج إليه بشارٌ مائتي درهم فقال: خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق .

هجاؤه للعباس بن محمد

استمنح بشارُ بن برد العباسَ بنَ محمد بن عليّ بن عبدالله بن عباس فلم يمنَحْهُ ، فقال يهجوه :

ظِلُّ اليسارِ على العباس ممدودُ
وقلبُهُ أبداً في البخلِ مَعقُودُ

إنَّ الكريمَ ليُخفي عنكَ عُسرَتَهُ
حتى تراه غَنيّاً وهو مجهودُ

وللبخيلِ على أموالِه عِلَلٌ
زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سُودُ

---

١ كان العرب ينعتون بالتيس من أرادوا هجاءه بالغباوة أو بالنتن ، فاذا أرادوا المبالغة في الهجاء، قالوا : ما هو الا تيس في سفينة .

إذا تكرّهتَ أن تُعطي القليلَ ولم
تقدِرْ على سعَـةٍ لم يَظهر الجُـودُ

أورِقْ بخيرٍ تُرَجَّى للنَّوال فمـا
تُرجَى الثِمارُ إذا لم يُورِق العُودُ

بُثَّ النَّوال ولا تَمنَعْـكَ قِلَّتُـهُ
فكلُّ ما سَدَّ فَقراً فهو محمُودُ

رأيه في عباد

مررتُ ببشار فقلت[1] : السلام عليك يا أبا مُعاذٍ ؛ فقال : وعليك السلام ، أعبّاد ؟ فقلت : نعم ؛ قـال : إني لحسَنُ الرأي فيكَ ؛ فقلت : ما أحوجني الى ذلك منك يا أبا مُعاذ !

تشبيهه شيئين بشيئين

قال (بشار) : لم أزل منذ سمعت قولَ امرىء القيس في تشبيه شيئين بشيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول :

كأنَّ قلوب الطيرِ رطباً ويابساً
لدى وكرِها العُنّابُ والحشَفُ البالي[2]

---

١ الحديث لعباد بن عاد .

٢ شبه قلوب الطيور المطروحة لدى وكر الفتخاء اي العقاب ، المذكورة في بيت سابق ، بالتمر اليابس اذا كانت عتيقة ، وبالعناب اذا كانت جديدة ، وفي زعم العرب ان الجوارح لا تأكل قلوب ما تصطاده من الطيور .

أُعمِلُ نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيتٍ حتى قلت :

كأنَّ مُثارَ النَّقعِ فوقَ رُؤوسِنا
وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكبُهْ

قال يحيى (بن علي) وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمَريُّ فقال وأحسنَ :

ليلٌ من النَّقعِ لا شمسٌ ولا قمرٌ
إلاَّ جبينُكَ والمذْرُوبةُ الشُّرُعُ[1]

نقد اسحاق الموصلي لشعره

كان إسحاقُ الموصليُّ يطعنُ على شِعرِ بشار ويضعُ منه ويذكر أنَّ كلامه مختَلِفٌ لا يشبه بعضُه بعضاً ، فقلنا[2] : أتقولُ هذا القولَ لمن يقول :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعاتِباً
صديقَكَ لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ

فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنَّهُ
مُقارِفُ ذنبٍ مرَّةً ومُجانِبُهْ[3]

---

١ المذروبة : المحددة ، والشرع : المشروعة والمراد بها السيوف .

٢ الضمير يعود الى المحدث يحيى بن علي .

٣ مقارف ذنب : مخالطه ومرتكبه .

إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القَذى
ظَمِئتَ، وأيُّ الناس تصفُو مَشاربه؟

قال عليّ بن يحيى : وهذا الكلامُ الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولا حَشوَ فيه ؛ فقال لي إسحاق : أخبرني أبو عُبيدة مَعْمَرُ بنُ المثنّى أن شُبَيلَ بنَ عَزْرَةَ الضُّبَعيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس، وكان عالماً بشعره لأنهما جميعاً من بني ضُبيعة ؛ فقلتُ له : أفليس قد ذكر أبو عبيدةَ أنه قال لبشار : إنّ شُبيلاً أخبره أنّها للمتلمّس؟ فقال : كذبَ والله شُبيلٌ ، هذا شعري ، ولقد مدحتُ به ابن هُبيرةَ فأعطاني عليه أربعين ألفاً . وقد صدَق بشارٌ ، قد مدح في هذه القصيدة ابنَ هُبيرةَ ، وقال فيها :

رُوَيدَ تَصاهلْ بالعراق جيادُنا
كأنّكَ بالضّحّاك قد قامَ نادبُه[1]

وسام لمروانٍ ومن دونه الشّجا
وهَولٌ كلُجّ البحر جاشتْ غواربُه[2]

أحلّتْ به أمُّ المنايا بناتِها
بأسيافنا ، إنّا رَدى مَن نُحاربُه[3]

---

١ رويد اسم فعل بمعنى أمهل وهي اذا اريد بها التهديد نصبت دون تنوين . كأنك هنا للتقريب أي قرب ان يقوم نادبه .

٢ سام لمروان : اي طامح للخلافة . الغوارب : الأمواج .

٣ ام المنايا : الداهية . واحلت به بناتها : اهلكته . ردى : هلاك .

وكُنّا إذا دبّ العدوُّ لِسُخطِنا
وراقَبَنا في ظاهرٍ لا نُراقِبُهْ

ركِبنا له جَهراً بكلّ مُثقّفٍ
وأبيضَ تَستسقي الدّماءَ مَضارِبُهْ[1]

ثم قلت لإسحاق : أخبرني عن قول بشار في هذه القصيدة :

فلمّا تولّى الحَرُّ واعتَصرَ الثّرى
لَظى الصّيفِ من نَجمٍ توقّدَ لاهِبُهْ[2]

وطارتْ عصافيرُ الشّقائقِ واكتسى
من الآلِ أمثالَ المجرّةِ ناضِبُهْ[3]

غدَتْ عانةٌ تشكو بأبصارِها الصّدى
الى الجأبِ إلاّ أنّها لا تخاطِبُهْ

ـ العانةُ : القطيع من الحمير ، والجأب : ذكرها . ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنّ العطش قد تبيّنَ في أحداقها فغارتْ ـ قال : وهذا من أحسن ما وُصِفَ به الحمارُ والأُتُنُ ، أفهذا للمُتلمّس

---

١ المثقف : المقوم صفة للرمح ، ابيض : صفة للسيف ، مضاربه : جمع مضرب ، حد السيف .
٢ اعتصر الثرى لظى الصيف : اي استخرج ما فيه من رطوبة .
٣ الشقائق : جمع شقيقة وهي ارض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب . الآل : السراب . المجرة : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وانما ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء .

أيضاً ! قال : لا ، فقلت : أفمـا هو في غاية الجوْدَة وشبيـهٌ بسائر الشعر ؟ فكيف قصد بشارٌ لسرقة تلك الأبيات خاصَّة ! وكيـف خصَّه بالسرقة منـه وحدَه من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويل ! وقد روى الرُّواةُ شعره وعـلم بشارٌ أن ذلك لا يخفَى ، ولم يُعثَرْ على بشارٍ أنه سَرق شعراً قطّ جاهلياً ولا إسلامياً . وأُخرى فـإنّ شِعرَ المتلمِّس يُعرَفُ في بعض شعر بشار ؛ فلم يَزْدُدْ ذلك بشيءٍ .

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ عن أبي عُبيدة أنّ بشاراً أنشده :

إذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتِبـاً
صديقَكَ لم تَلـقَ الذي لا تُعاتِبُهْ

وذكر الأبيات . قـال : وأنشدتها شُبيـلَ بنَ عَزرَةَ الضُّبعيّ ، فقال : هذا للمتلمِّس ، فأخبرتُ بذلك بشاراً ، قـال : كذب واللهِ شُبيلٌ ، لقد مدحتُ ابنَ هُبيرة بهذه القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفاً .

يسأل عن ولد بشار

لمّا خلَـع محمدٌ المأمونَ ونَدَبَ له عليّ بنَ عيسى ، نَدَب المأمونُ للقاء عليّ بن عيسى طاهرَ بنَ الحسين ذا اليمينَين[1] وجلس له لعَرْضِه

---

[1] لقب طاهر بذي اليمينين لأنه ضرب بسيفه ، وهو قابض عليه بكلتا يديه ، العباس بن الليث ، مولى المهد ، في وقعـة مع علي بن ماهان قائد جيش الامين ، فقده نصفين ، وانهزم جيش الأمين .

وعرَضَ أصحابه ، فمرّ به ذو اليمينَين مُعترضاً وهو يُنشِدُ :

رُوَيدَ تَصاهَلْ بالعراق جيادُنا
كأنك بالضَّحّاك قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيتَ فأعاد عليه ؛ فقال ذو الرّياستَين[1] : يا أمير المؤمنين هو حجرُ[2] العراق ؛ قال[3] : أجل . فلمّا صار ذو اليمينَين الى العراق سأل : هل بقي من ولد بشار أحد ؟ فقالوا : لا ، فتوهّمتُ أنه قد كان همّ لهم بخيرٍ .

بشار وسلم الخاسر

غضبَ بشارٌ على سَلْمٍ الخاسِرِ وكان من تلامذته ورُواته ، فاستشفع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاؤوه في أمره ، فقال لهم : كلُّ حاجةٍ لكم مَقضيّةٌ إلاّ سَلْماً ، قالوا : ما جئناكَ إلاّ في سَلْمٍ ولا بدّ من أن ترضَى عنه لنا ، فقال : أين هو الخبيثُ ؟ قالوا : ها هو ذا ، فقام إليه سَلْمٌ فقبّل رأسه ومثل بين يديه وقال : يا أبا مُعاذٍ ، خرّيجُكَ وأديبُكَ ، فقال : يا سَلْمُ ، مَن الذي يقول :

---

١ هو الفضل بن سهل وزير المأمون ، ولقب بذي الرياستين لانه تقلد الوزارة والسيف .

٢ يريد انه الركن الذي يعول عليه .

٣ اي صاحب الحديث ابرهيم المروزي احد قواد طاهر .

مَن راقبَ الناسَ لم يَظفرْ بحاجتِه
وفازَ بالطّيباتِ الفاتكُ اللَّهِجُ

قال : أنت يا أبا مُعاذٍ ، جعلني اللهُ فداءَكَ ! قال: فمن الذي يقول:

مَن راقبَ الناسَ ماتَ غمّاً
وفـــازَ باللّذةِ الجسُورُ[1]

قال . خِرّيجُكَ يقول ذلك (يعني نفسَه) ؛ قال : أفتأخُذُ معانيَّ التي قد عُنيتُ بها وتعِبتُ في استنباطها ، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ من ألفاظي حتى يُروى ما تقول ويذهب شِعري ! لا أرضى عنك أبداً ، قال : فما زال يتضرّعُ إليه ، ويشفع له القوم حتى رضي عنه . وفي هذه القصيدة يقول بشّارٌ :

لو كنتِ تلقينَ ما نلقى قَسَمتِ لنا
يوماً نعيشُ به منكم ونبتَهجُ

لا خيرَ في العيش إن كنّا كذا أبداً
لا نلتقي وسبيلُ الملتقى نَهَجُ[2]

قالوا : حرامٌ تلاقِينا ، فقلتُ لهم :
ما في التلاقي ولا في قُبلةٍ حَرَجُ

---

١ هذا البيت وبيت بشار قبله يذكرهما علماء البلاغة شاهداً لحسن أخذ الشاعر الثاني من الاول ، ويسمونه حسن الاتباع ، لان بيت سلم اجود سبكاً واخصر لفظاً .

٢ النهج : البين الواضح .

مَن راقب الناس لم يَظفَر بحاجته
وفاز بالطّيّبات الفاتكُ اللّهِجُ[1]

أشكو الى الله همّاً ما يُفارِقُني
وشُرَّعاً في فؤادي الدّهرَ تعتَلِجُ[2]

غيظه الاصمعي

قال[3] : أنشدت الأصمعيّ قولَ بشّارٍ يهجو باهلةَ :

ودعاني مَعشرٌ كلّهُمُ
حُمُقٌ دام لهمْ ذاك الحُمُقْ

ليس من جُرمٍ ولكن غاظَهُم
شرَفي العارضُ قد سدّ الأفُقْ[4]

فاغتاظ الأصمعيُّ فقال : وَيلي على هذا العبد القِنّ[5] ابنِ القِنّ !

---

١ اللهج : المثابر على الشيء .
٢ الشرع : الرماح والمراد بها هنا الخواطر وما اليها مجازاً . تعتلج : تتضارب وتتمارس .
٣ الحديث لأحمد بن خلاد .
٤ العارض : السحاب المعترض في الافق ، والجبل .
٥ القن : العبد المولود من عبد وامة .

امرأة تفحمه

قال[1] : سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدّثُ :

أن امرأةً قالت لبشّار : أيُّ رجل أنت لو كنتَ أسودَ اللحية والرأس ! قال بشّار : أما عَلمْتِ أن بِيض البُزاة أثمن من سود الغِربان ؟ فقالت له : أمّا قولك فحسنٌ في السّمع ، ومن لك بأن يحسُنَ شَيبُكَ في العين كما حسُنَ قولُك في السّمع ! فكان بشّار يقول : ما أفحمني قطّ غيرُ هذه المرأة .

مروان وبشار

قال مروان لبشار لمّا أنشده هذا البيتَ :

واذا قلتُ لها جُودي لنا
خرجَتْ بالصّمت عن لا ونَعَمْ

جعلني الله فِداءك يا أبا مُعاذ ! هلاّ قلتَ : « خَرِستْ بالصّمْت » ؟ قال : إذاً أنا في عقلك فضّ الله فاك ! أأتطيّر على مَن أُحِبّ بالخَرس !

---

١ الحديث لعباس بن خالد .

وفادته على خالد البرمكي

وفَد بشّار الى خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده :

أخالدُ لم أخبِطْ إليكَ بذمّةٍ
سوى أنّني عافٍ وأنتَ جوادُ[1]

أخالدُ بين الأجر والحمدِ حاجتي
فأيّهما تأتي فأنتَ عِمادُ

فإن تُعطني أُفرِغْ عليك مدائحي
وإن تأبَ لم يُضرَبْ عليَّ سِدادُ[2]

رِكابي على حَرْفٍ وقلبي مُشيَّعٌ
وما لي بأرض الباخلينَ بِلادُ[3]

إذا أنكرتْني بَلدةٌ أو نكرْتُها
خرجتُ مع البازي عليَّ سَوادُ[4]

قال : فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضَع واحداً عن يمينه وواحداً عن شِماله وآخر بين يديه وآخر خلفَه ، وقال :

---

١ أي لم أسر اليك لطلب معروفك متوسلا بعهد .

٢ السداد : ما تسد به الثلمة ونحوها، والمعنى ان طرق الرزق لم تسد في وجهه .

٣ الحرف : الناقة القوية . المشيع : الشجاع .

٤ أي انه يفارقهم باكراً قبل ان ينكشف ظلام الليل .

يا أبا مُعاذ ، هل استقلّ العماد ؟ فلَمس الأكياس ثم قال : استقلّ والله أيُّها الأمير .

مدحه لامير البصرة

قال (بشّار) : دخلت على الهَيْثم بن معاوية وهو أمير البصرة ، فأنشدتُه :

إنّ السلامَ أيُّها الأميرُ
عليكَ والرحمةُ والسّرورُ

فسمعتُه يقول : إنّ هذا الأعمى لا يدعنا أو يأخذَ من دراهمنا شيئاً ؛ فطمِعتُ فيه فما برحتُ حتى انصرفتُ بجائزته .

مفاخرته لبني زيد

وقف رجلٌ من بني زيد شريفٌ ، لا أحِبُ أن أسمّيَه ، على بشّار ، فقال له : يا بشّار قد أفسدتَ علينا مَوالينا ، تدعوهم الى الانتفاء منّا وتُرغّبهم في الرُّجوع الى أُصولهم وترك الوَلاء ، وأنت غيرُ زاكي الفَرع ولا معروف الأصل ؛ فقال له بشّار : والله لأصلي أكرمُ من الذهب ، ولَفَرعي أزكى من عمل الأبرار ، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبكَ له بنسبه ، ولو شئتُ أن أجعل جواب

كلامك شعراً لفعلتُ ، ولكنّ موعدكَ غداً بالمِرْبَد . . . فرجع الرجل الى منزله من فوره ولم يدخل المِربدَ حتى مات .

وأنشدَ رجل يوماً يونُسَ في هذه القصيدة وهي :

بَلَوتُ بني زيدٍ فما في كِبارهم
حُلومٌ ولا في الأصغرينَ مُطهَّر[١]

فأبلغ بني زيدٍ وقل لسَراتهم
وإن لم يكن فيهم سَراةٌ تُوقَّر[٢]

لأمِّكمُ الوَيلاتُ إنَّ قصائدي
صَواعقُ منها مُنجدٌ ومغوِّر[٣]

أجَدَّهمُ لا يتَّقون دَنيَّةً
ولا يُؤثِرون الخير والخير يؤثَر[٤]

يلفُّون أولاد الزِّنا في عِدادهم
فعِدَّتُهم من عِدَّة الناس اكثَر[٥]

١ بلوت : جربت. حلوم : عقول .

٢ السراة واحدها سري : الاشراف .

٣ يقول ان قصائده صواعق تصيب الامكنة العالية من الارض والامكنة المنخفضة منها .

٤ يقال : اجدك بكسر الجيم واجدك بفتحها ونصبها على المصدر ، قال الليث : من قال : اجدك بكسر الجيم فانه يستحلفه بجده وحقيقته، واذا فتح الجيم استحلفه بجده وهو بخته.

٥ يلفون : يجمعون .

اذا ما رأوا مَنْ دأبُه مثلُ دأبهم
أطافوا به ، والغَيُّ للغيّ أصوَرُ[1]

ولو فارقوا من فيهمُ من دَعارة
لما عرفتْهم أمُّهم حين تنظرُ[2]

لقد فخَروا بالمُلحَقِينَ عشيّةً
فقلتُ افخروا إن كان في اللؤم مفخَرُ[3]

يريدون مَسْعاتي ودون لقائها
قناديلُ أبواب السَّموات تَزهَرُ[4]

فقل في بني زيدٍ كما قال مُعْرِبٌ
قَواريرُ حَجّامٍ غداً تتكسَّرُ[5]

فقال يونسُ للذي أنشده : حَسبُكَ حسبك ! مَن هيَّجَ هذا الشيطان عليهم ؟ قيل : فلانٌ ؛ فقال : رُبَّ سَفيهِ قومٍ قد كسَبَ لقومه شرّاً عظيماً .

---

١ اصور : اميل .
٢ اي لو فارقوا من انضم اليهم من طريق الدعارة .
٣ يريد بالملحقين : الذين استلحقوهم والصقوهم بهم من اولاد الزنا .
٤ المسعاة : المكرمة والمعلاة في انواع المجد والجود . تزهر : تتلألأ .
٥ المعرب : المفصح .

بشار ومثل الحمار

قال بشّار : دعاني عُقبةُ بن سَلْم ودعا بحمّاد عَجْرَدَ وأعشى باهلةَ ، فلما اجتمعنا عنده قال لنا : إنه خطر ببالي البارحة مثَلٌ يتمثّله الناس « ذهب الحمارُ يطلبُ قرنين فجاء بلا أذنين » فأخرِجُوه من الشعر ، ومن أخرجَهُ فله خمسةُ آلاف درهم ، وإن لم تفعلوا جلدتُكم كُلُّكم خمسمائةٍ ؛ فقال حمّاد : أجّلْنا أعزّ اللهُ الأميرَ شهراً ؛ وقال الأعشى : أجّلْنا أسبوعين ؛ قال : وبشّار ساكتٌ لا يتكلّم ؛ فقال له عُقبةُ : ما لكَ يا أعمى لا تتكلّم ! أعمى الله قلبك ! فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، قد حضَرني شيءٌ فإن أمرتَ قلتُه ؛ فقال : قل ؛ فقال :

شَطَّ بسَلمَى عاجلُ البَينِ
وجاورتْ أسْدَ بني القَيْنِ[1]

ورنَّتِ النفسُ لها رنَّةً
كادتْ لها تنشَقُّ نصفَينِ

يابنَةَ مَن لا أشتهي ذِكرَهُ
أخشى عليه عُلَقَ الشَّينِ

والله لو ألقاكِ لا أتّقي
عيناً لقبَّلتُكِ ألفَينِ

---

١ شط : بعد .

طالبتُها دَيني فراغَتْ به
وعلَّقتْ قلبي مع الدَّينِ[1]

فصِرتُ كالعَيرِ غدا طالباً
قرناً فلم يَرجِعْ بأذْنينِ

قال : فانصرف بشّارٌ بالجائزة .

قيس عيلان وبشار

نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قيس عَيلانَ وكان فيهم بيانٌ وفصاحة ، فكان بشّارٌ يأتيهم ويُنشدُهم أشعاره التي يمدح بها قيساً فيُجِلّونه لذلك ويُعظّمونه ، وكان نساؤهم يجلسنَ معه ويتحدَّثنَ اليه ويُنشِدُهنّ أشعاره في الغزَل وكُنّ يُعجبنَ به ، وكنتُ كثيراً ما آتي ذلك الموضعَ فأسمعُ منه ومنهم ، فأتيتُهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا ، فجئتُ الى بشّار فقلت له : يا ابا مُعاذ ، أعَلِمتَ أنّ القومَ قد ارتحلوا ؟ قال : لا ؛ فقلت : فاعلمْ ؛ قال : قد عَلِمْتُ لا عَلِمْتَ ! ومضيت ، فلمّا كان بعد ذلك بأيام سمعتُ الناس يُنشدون :

---

١ راغت : ماطلت .

دعا بفِراقِ مَن تهوَى أبانُ
ففاض الدّمعُ واحترقَ الجَنانُ[1]

كأنّ شرارةً وقعت بقلبي
لها في مُقلتي ودمي استِنانُ[2]

إذا أنشَدتُ أو نَسَمَتْ عليها
رياحُ الصّيف هاج لها دُخانُ

فعلِمتُ انها لبشّار ، فأتيتُه فقلت : يا أبا مُعاذ ، ما ذنبي إليك ؟ قال : ذنبُ غرابِ البينِ ؛ فقلت : هل ذكرتني بغير هذا ؟ قال : لا ؛ فقلتُ : أنشُدُكَ اللهَ ألاّ تزيد ؛ فقال : امضِ لشأنكَ فقد تركتُك.

يسامي ابن جعفر الطيار

أنشد بشّار جعفر بنَ سليمان :

أقِلّي فإنّا لاحِقونَ وإنّما
يُؤخّرنا أنّا يُعَدُّ لنا عَدّا

وما كنتُ إلاّ كالأغرّ ابنِ جعفرٍ
رأى المالَ لا يبقى فأبقَى بهِ حمدا

---

١ الجَنان : القلب .

٢ الاستنان : الجريان بشدة .

فقال له جعفرُ بن سليمان : مَن ابنُ جعفرٍ ؟ قال : الطيّار[1] في الجنة؛ فقال : لقد ساميْتَ غيرَ مسامىً ! فقال : والله ما يُقعِدُني عن شأوه بُعدُ النسب ، لكن قلّـة النشب ، وإني لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندي الكثيرُ ، وما على مَن جاد بما يملك ألاّ يهبَ البدور[2] ؛ فقال له جعفرٌ : لقد هَزَزتَ أبا مُعاذ ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه .

تبرمه بالناس

قيل لبشّار : إنك لكثير الهجاء ! فقال : إني وجدتُ الهجاء المؤلم آخذَ بِضَبُعِ[3] الشاعر من المديح الرائع ، ومَن أراد من الشعراء أن يُكرَم في دهر اللئـام على المديح فليستعدَّ للفقرِ وإلاّ فليُبالـغْ في الهجاء ليُخافَ فيُعطى .

قال[4] : كان بُردٌ أبو بشّـار طيّاناً حاذقـاً بالتّطيين ، ووُلدَ له بشارٌ وهو أعمى ، فكان يقول : ما رأيتُ مولوداً أعظم بركة منه ،

---

١ الطيار : لقب جعفر بن أبي طالب ، وسبب هذا اللقب أنه أخذ الراية في غزوة موتة بعد زيد بن حارثة فقاتل حتى قطعت يداه ومات، فاستعاض منهما في الجنة جناحين يطير بهما مع الملائكة .

٢ البدور : جمع بدرة وهي كيس فيه ألف او عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار .

٣ الضبع : العضد .

٤ الحديث لابي عبيدة .

ولقد وُلِدَ لي وما عندي درهمٌ ، فما حال الحولُ حتى جمعتُ مائتَي درهم . ولم يمتْ بردٌ حتى قال بشارٌ الشعر . وكان لبشارٍ أخوان يقال لأحدهما : بشر ، وللآخر : بشير ، وكانا قصّابين وكان بشار بارّاً بهما ، على أنه كان ضيّق الصدر متبرّماً بالناس ، فكان يقول : اللّهمّ إني قد تبرّمتُ بنفسي وبالناس جميعاً ، اللّهمّ فأرحني منهم .

وكان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسّخونها ويُنتنون ريحَها ، فاتخذ قميصاً له جيبان وحلف ألاّ يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذونها بغير إذنه ؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته فيقول اذا وجد رائحةً كريهةً من ثوبه : « أينما أتوجّهْ ألقَ سَعداً[1] . » فاذا أعياه الأمر خرج الى الناس في تلك الثياب على نَتْنِها ووسَخِها، فيقال له : ما هذا يا أبا مُعاذ ؟ فيقول : هذه ثمرةُ صِلَةِ الرَّحم[2] . قال : وكان يقول الشعرَ وهو صغيرٌ، فإذا هجا قوماً جاؤوا الى أبيه فشكَوه فيضربُه ضرباً شديداً ، فكانت أمّه تقول : كم تضرب هذا الصبيَّ الضريرَ ، أما ترحمُه ! فيقول : بلى والله إني لأرحَمُه ولكنه يتعرّضُ للناس فيشكونه إليّ ؛ فسمعه بشارٌ فطمِعَ فيه فقال له : يا أبتِ إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليك هو قولُ الشعر ، وإني إن ألممتُ

---

١ مثل يضرب لمن يلقى سوء المعاشرة في كل مكان ، واصله ان الاضبط بن قريع كان سيد قومه فرأى منهم جفوة فرحل عنهم الى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك فقال هذا القول .

٢ صلة الرحم : القرابة .

عليه أغنيتُك وسائر أهلي ، فإن شَكَوني إليك فقل لهم : أليس اللهُ يقول : ليس على الأعمى حَرَجٌ ؟ فلمّا عاودوه شكواهُ قال لهم بُردٌ ما قاله بشّارٌ ؛ فانصرفوا وهم يقولون : فِقْهُ بُردٍ أغيظُ لنا من شعرِ بشّار .

مطاولته للنساء

أتيت[1] بشاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار ، فقال لي : خذ منها ما شئتَ ، أوتدري ما سببُها ؟ قلت : لا ؛ قال : جاءني فتى فقال لي : أنت بشار ؟ فقلتُ : نعم ؛ فقال : إني آليت أن أدفع إليك مائتي دينارٍ وذلك أني عشِقتُ امرأة فجئت إليها فكلّمتُها فلم تلتفت إليّ ، فهممْتُ أن أتركها فذكرتُ قولك :

لا يُؤيسنّك من مُخبّأة
قولٌ تُغلّظُهُ وإن جَرَحا

عُسْرُ النّساء الى مُياسرة
والصّعبُ يُمكِنُ بعدما جَمَحا

فعدت إليها فلازمتها حتى بلغت منها حاجتي .

---

[1] الحديث لأحد الشعراء .

خوف الاخفش منه

كان الأخفشُ طعن على بشار في قوله :

فالآن أقْصَرَ عن سُميَّةَ باطلي
وأشار بالوَجَلى عليَّ مُشيرُ

وفي قوله :

على الغَزَلى منّي السلامُ فربَّما
لهَوْتُ بها في ظِلِّ مَرؤومةٍ زُهْرِ[1]

وفي قوله في صفة سفينةٍ :

تُلاعبُ نِينانَ البُحورِ وربَّما
رأيتَ نفوس القوم من جَرْيها تجري

وقال : لم يُسمعْ من الوجل والغَزَل فَعَلى ، ولم أسمع بنُون ونِينانٍ[2] ، فبلغ ذلك بشاراً فقال : وَيلي على القصّارين[3] ! متى كانت الفصاحة في بيوت القصّارين ! دعوني وإيّاه ؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجزِع ؛ فقيل له : ما يُبكيك ؟ فقال : وما لي لا أبكي وقد

---

١ مرؤومة : محبوبة مألوفة .
٢ ورد هذا الجمع في كتب اللغة .
٣ القصار : من يحور الثياب ويدقها .

وقعتُ في لسان بشار الأعمى ! فذهب أصحابه الى بشار فكذّبوا عنه واستوهَبُوا منه عِرضَه وسألوه ألاّ يهجوه ؛ فقال : قد وَهبتُه للؤم عِرضِه . فكان الأخفش بعد ذلك يحتجُّ بشعره في كُتُبه ليَبلُغَه ؛ فكفَّ عن ذكره بعد هذا .

عقيل تستعين به

كان بشار مجاوراً لبني عُقَيلٍ وبني سَدوسٍ في منزل الحيَّين ، فكانوا لا يزالون يتفاخرون ، فاستعانت عُقَيلٌ ببشار وقالوا له : يا أبا مُعاذٍ ، نحن اهلُك وأنت ابننا وربيتَ في حُجُورنا فأعِنّا ؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون ، فجلس ثم أنشد :

كأنَّ بني سَدُوسٍ رَهطَ ثَوْرٍ
خَنافسُ تحت مُنكَسِرِ الجِدارِ

تحرِّكُ للفخارِ زُبانَيَيْها
وفخرُ الخُنفَساء من الصَّغارِ[1]

فوثب بنو سَدُوسٍ اليه فقالوا : ما لنا ولك يا هذا ! نعوذ بالله من شرِّك ! فقال : هذا دأبكم إن عاودتم مُفاخرة بني عُقيل ؛ فلم يُعاوِدوها .

---

١ زبانيا العقرب : قرناها .

يونس يحرض عليه

قال يونس النحوي: العجب من الأزْد يَدَعُونَ هذا العبد يَنسُب بنسائهم ويهجو رجالهم – يعني بشاراً – ويقول :

ألا يا صَنَمَ الأزْدِ الذي يَدعُونه رَبّا

ألا يبعثون اليه من يفتُقُ بطنَه !

ذمه لاصحاب ابن أخيه

مر ابن أخ لبشار ببشار ومعه قوم، فقال لرجل معه وسمع كلامه : مَن هذا ؟ فقال : ابنُ أخيك ؛ قال : أشهدُ أنّ أصحابه سَفِلةٌ ؛ قال : وكيف علِمْتَ ؟ قال : ليس عليهم نعالٌ .

طربه لقينة

كنّا[1] عند جارية لبعض التّجّار بالكَرْخ تُغنّينا ، وبشارٌ عندنا ، فغنّت في قوله :

إنّ الخليفة قد أبى
وإذا أبى شيئاً أبَيتُهْ

ومُخَضَّبٍ رَخصِ البَنانِ
بكى عليَّ وما بكَيتُهْ

---

١ الحديث للفضل بن يعقوب .

يا منظراً حسناً رأيتُ
بوجه جاريةٍ فديتُهْ

بعثتْ إليَّ تسومُني
ثوبَ الشبابِ وقد طويتُهْ

فطرِب بشار وقال: هذا والله يا أبا عبدالله أحسنُ من سُورة الحَشر! وقد روى هذه الكلمة عن بشار غير مَن ذكرتُه فقال عنه: إنه قال: هي والله أحسنُ من سُورة الحشر. وتمامُ الشعر:

وأنا المطِلُّ على العِدا
واذا غَلا الحمدُ اشتريتُهْ

وأميلُ في أنسِ النَّديم
من الحياء وما اشتهيتُهْ

ويشُوقُني بيتُ الحبيب
اذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ!

حالَ الخليفةُ دونه
فصبَرتُ عنه وما قَليتُهْ

وأنشدني أبو دُلَف هاشمُ بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات وأخبرني أن الجاحظ أخبره أن المهديّ نهى بشاراً عن الغزَل وأنْ يقول شيئاً من النسيب، فقال هذه الأبيات. قال: وكان الخليل بن أحمد يُنشِدها ويستحسنها ويُعجَبُ بها.

لماذا يعرفه الناس

قالت بنت بشار لبشار : يا أبتِ ، ما لـك يعرِفكَ النـاس ولا تعرفهم ؟ قال : كذلك الأميرُ يا بُنيَّـة .

هجاؤه لابن مزيد

ورد بشّار بغداد فقصد يزيدَ بنَ مَزْيَدٍ، وسأله أن يذكره للمهديّ، فسوّفه أشهراً ؛ ثم وردَ رَوحُ بنُ حاتم فبلغه خبرُ بشّار ، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه ، وأمر بإحضاره فدخـل الى المهديّ وأنشده شعراً مدحه به ، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبـداً وقَيْنَةً وكساه كُسىً كثيرة ، وكان يُحضرُ قيساً مرّةً ، فقال بشار يهجو يزيد ابن مَزْيد :

ولمّا التقينـا بالجُنَيْنةِ غرّني
بمعروفه حتى خرجتُ أفُوقُ[1]

غرّني : أوجرَني[2] كما يُغَرّ الصبيُّ أي يُوجَرُ اللبنَ .

---

[1] افوق : من الفواق ، ويسمى عند العامة بالحازوقة ، وهو ما يأخذ الانسان من تشنج الحجاب الحاجز بسبب امتلاء المعدة بالطعام ، وهو هنا كناية عما اتقاه به من العطاء .

[2] اوجره اللبن ونحوه : جعله في فيه .

حَباني بعبدٍ قَعْسَريٍّ وقَيْنَةٍ
ووَشْيٍ وآلافٍ لهنَّ بَريقُ[1]

فقُل ليزيدٍ يلعَصُ الشهدَ خاليـاً
لنا دونه عند الخليفة سُوقُ[2]

رَقدتَ فنَمْ يابن الخبيثة إنهـا
مكارمُ لا يسْطيعُهُنَّ لَصيقُ

أبى لك عِرقٌ من فلانةَ أن تُرى
جواداً ورأسٌ حين شِبتَ حَليقُ

يقلب الهجاء مدحاً

كان بشّار كتَب الى إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بقصيدة يمدحه بها ويُحرّضُه ويُشير عليه ، فلم تصل اليه حتى قُتِلَ ، وخاف بشّارٌ أن تشتهر فقلبها وجعل التحريض فيها على أبي مُسلم والمدحَ والمشورة لأبي جعفرٍ المنصور ، فقال :

أبا مُسلمٍ ما طيبُ عيشٍ بدائمٍ
ولا سالمٌ عمّـا قليلٍ بسالمِ

---

١ القعسري : الصلب الشديد .

٢. يلعص : يلعق .

وإنّما كان قال : «أبا جعفرٍ ما طِيبُ عيش» فغيّره. وقال فيها:

إذا بلغ الرأيُ النصيحةَ فاستعِنْ
بعزمِ نصيحٍ أو بتأييدِ حازمِ

ولا تجعل الشُّورَى عليك غضاضةً
مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ

وخلّ الهُوَينى للضعيف ولا تكن
نَؤوماً فإنّ الحزمَ ليس بنائمِ

وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغلُّ أختَها
وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ

وحاربْ إذا لم تُعطَ إلاّ ظُلامةً
شَبا الحربِ خيرٌ من قبولِ المظالمِ

وأدْنِ على القُرْبى المقرَّبَ نفسَهُ
ولا تُشهِدِ الشُّورى امرأً غيرَ كاتمِ

فإنكَ لا تستطرِدُ الهمَّ بالمُنى
ولا تبلُغُ العَلْيا بغيرِ المكارمِ

إذا كنتَ فرداً هرَّكَ القومُ مُقبِلاً
وإن كنتَ أدنى لم تفُزْ بالعزائمِ [1]

---

١ هرك القوم : اي كرهوا ناحيتك .

وما قَرَعَ الأقوامَ مثلُ مُشَيَّعٍ
أريبٍ ولا جَلَّى العَمى مثلُ عالِمِ[1]

قال الأصمعيُّ : فقلت لبشّار : إني رأيت رجال الرأي يتعجّبون من أبياتك في المَشُورة ، فقال : أما علِمتَ أنَّ المشاوِرَ بين إحدى الحُسْنَيَيْن: بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطإٍ يُشارَكُ في مكروهه؟ فقلت : أنت والله أشعرُ في هذا الكلام منك في الشعر .

وصفه لجسمه

مررت[2] ببشّار وهو مُتبطِّح[3] في دِهليز كأنه جاموس ، فقلت له : يا أبا مُعاذ ، مَن القائل :

في حُلَّتي جسمُ فتىً ناحلٍ
لو هبَّت الريحُ به طاحا

قال : أنا ؛ قلتُ : فما حمَلكَ على هذا الكذب ؟ والله إني لأرى أن لو بعث اللهُ الرياحَ التي أهلك بها الأمم الخالية ما حرّكَتْكَ من موضعك ! فقال بشّار : مِن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ؛ فقال : يا أهل الكوفة لا تدعون ثِقَلَكم ومَقْتَكم على كلّ حال !

---

١ المشيع : الشجاع .
٢ الكلام لبعض الكوفين .
٣ متبطح : ممتد على وجه الارض بوجهه .

عتاب يجلب هدية

قدِم كُرْدِيّ بن عامر المِسْمَعِيّ من مكة ، فلم يُهدِ لبشّار شيئاً وكان صديقه ؛ فكتب اليه :

مـا أنتَ يا كرديُّ بالهَشّ
ولا أبَرّيـك من الغـشّ

لم تُهدِنا نعلاً ولا خاتَماً
من أين أقبلتَ ؟ من الحُشّ[1] !

فأهدى اليه هديّة حسنةً وجاءه فقال : عَجِلتَ يا أبا مُعـاذ علينا ، فأنشُدُكَ اللهَ ألاّ تزيد شيئاً على ما مضى .

الغناء بشعره

قلت[2] لبشّار : كنّا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي :

---

١ في كتب اللغة يقال: اهدى له واهدى اليه بخلاف ما ورد هنا فانه حذف منه الجار ووصل الفعل بالمفعول. الحش : البستان وموضع قضاء الحاجة لانهم كانوا يقضون حاجاتهم في البساتين .

٢ الحديث لعافية بن شبيب .

هَوَى صاحبي ريحُ الشَّمالِ اذا جرتْ
وأشفَى لنفسي أن تهُبَّ جَنُوبُ

وما ذاك إلاَّ أنها حين تنتهي
تناهى وفيها من عُبَيدةَ طِيبُ

فطرب وقال : هذا والله أحسن من فَلْجٍ[1] يوم القيامة !

كذبه في المدح

مدح بشّارٌ المهديَّ فلم يُعطه شيئاً ؛ فقيل له : لم يَستجِدْ شعرَك ؛ فقال : والله لقد قلتُ شعراً لو قيل في الدهر لم يُخشَ صرفه على أحد ، ولكنّا نكذِب في القول فنُكذَّبُ في الأمل .

بشار وابن حاتم

هجا بشّار رَوْحَ بن حاتم ؛ فبلغه ذلك فقذَفه وتهدّده ؛ فلمّا بلغ ذلك بشّاراً قال فيه :

تهدّدني أبو خلفٍ
وعن أوتاره ناما[2]

---

١ الفلج : الفوز والظفر .

٢ الاوتار : جمع الوتر وهو الثأر .

بسيف لأبي صُفْرَةَ
لا يَقطَع إبهاما

كأنَّ الوَرْسَ يعلوهُ
اذا ما صدرهُ قاما[1]

قال ابن أبي سعد: ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي. قال: فبلغ ذلك رَوْحاً فقال: كلّ مالي صدقةٌ، إنْ وقعتْ عيني عليه لأضربنّه ضربةً بالسيف ولو أنه بين يدي الخليفة! فبلغ ذلك بشّاراً فقام من فوره حتى دخل على المهديّ؛ فقال له: ما جاء بك في هذا الوقت؟ فأخبره بقصّة رَوح وعاذ به منه، فقال: يا نُصَير، وجّهْ الى رَوح من يُحضره الساعة؛ فأرسل اليه في الهاجرة، وكان ينزل المُخَرّم[2]، فظنّ هو وأهلُه أنه دُعي لولاية. قال: يا رَوح، إني بعثت اليك في حاجة؛ فقال له: أنا عبدكَ يا أمير المؤمنين فقل ما شئتَ سوى بشّار فإني حلفت في أمره بيمين غَمُوس[3]؛ قال: قد علمتُ، وإيّاه أردتُ؛ قال له: فاحتَلْ ليميني يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه

---

١ الورس: نبات كالسمسم اصفر يصبغ به، استعاره هنا لصدأ السيف تعريضاً بجبن صاحبه.

٢ المخرم: محلة ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى.

٣ اليمين الغموس: التي لا استثناء فيها.

بعرض السيف ، وكان بشار وراء الخيش[1] ، فأخرج وأقعِدَ واستلَّ رَوحٌ سيفه فضربه ضربةً بعرضه ؛ فقال : أوَّهْ باسم الله ! فضحكَ المهديّ وقال له : ويلك ! هذا وإنّما ضربك بعرضه وكيف لو ضربك بحدّه !

مدحه لسليمان بن هشام

مدح بشارٌ سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحرّان وخرج اليه فأنشده قوله فيه :

نأتكَ على طول التجاورِ زينبُ
وما شعرتْ أن النوى سوف تشعبُ[2]

يرى الناسُ ما تلقى بزينبَ اذ نأتْ
عجيباً وما تُخفي بزينبَ أعجبُ

وقائلةٍ لي حين جدَّ رحيلُنا
وأجفانُ عينيها تجودُ وتسكبُ :

---

[1] الخيش: مراوح تعمل من نسيج خشن من الكتان كشراع السفينة تعلق في سقف البيت ويعمل لها حبل تجر به وهي مبلولة بالماء ، فاذا اراد الرجل ان ينام جذب حبلها فيهب منها نسيم بارد يذهب اذى الحر .

[2] تشعب : تفرق .

أغادِ الى حَرّانَ في غير شيعة ؛
وذلكَ شأوٌ عن هَواها مُغَرِّبُ[1]

فقلتُ لها : كلَّفتِني طلبَ الغنى
وليس وراءَ ابنِ الخليفةِ مذهبُ

سيكفي فتىً من سعيه حدُّ سيفه
وكُورٌ عِلافيٌّ ووجناء ذِعْلِبُ[2]

اذا استوغرتْ دارٌ عليه رمى بها
بنات الصُّوَى منها رَكوبٌ ومُصْعَبُ[3]

فعُدّي الى يوم ارتحلتُ وسائلي
بزَوْرِكَ والرَّحالُ من جاء يضربُ

لعلّكِ أن تستيقني أن زَوْرتي
سليمانَ من سير الهواجر تُعقِبُ

---

١ مغرب : بعيد .

٢ الكور : الرحل . العلافي : نسبة الى علاف بن طوار لانه اول من عملها . وجناء : عظيمة الوجنتين أو صلبة قوية، شبهت بالوجين وهو الصعب من الأرض. ذعلب: سريعة.

٣ استوغرت: حميت واتقدت غيظاً، والمراد أنها ضاقت به. الصوى: جمع صوة، وهي حجارة مجموعة تجعل علماً يهتدى بها في المفازة . بناتها : صغارها . الركوب : المذلل بالركوب . المصعب : ما لم يركب ولم يمس من الابل .

أغَرُّ هِشاميُّ القَناةِ اذا انتمَى
نَمَتْهُ بدورٌ ليس فيهنَّ كوكبُ

وما قصدَتْ يوماً مخيلين خَيلُهُ
فتُصرَفُ إلاّ عن دماءٍ تَصَبَّبُ[1]

فوصله سليمانُ بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل ، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضباً فقال :

إن أمسِ مُنقبض اليدين عن النَّدَى
وعن العدوّ مُخيَّسَ الشيطانِ[2]

فلقد أروحُ عن اللئام مُسلَّطاً
ثَلِجَ المَقِيل مُنعَّمَ النَّدْمانِ[3]

في ظلّ عيش عشيرة محمودة
تندَى يدي ويُخافُ فَرْطُ لساني

أزْمانَ جِنّيُّ الشباب مُطاوعٌ
وإذ الأميرُ عليّ من حرّانِ

١ لم نجد في المعاجم معنى لمخيلين يناسب معنى البيت . ولعل الصواب محلين اي اعداء، وقد وردت المحل بهذا المعنى في قول زهير بن ابي سلمى : «وكم في القنان من محل ومحرم» أي من اعداء يحلون المحرم . (تصحيح بطرس البستاني في كتابه منتقيات ادباء العرب في الأعصر العباسية) .

٢ مخيس : مذلل .

٣ ثلج المقيل : بارده .

رِيمٌ بأحوِيَةِ العِراق اذا بدا
بَرَقتْ عليه أكِلَّةُ المَرْجانِ[1]

فاكحَلْ بعَبْدَةَ مُقلتيك من القَذى
وبوَشْكِ رُؤيتها من الهَمَلانِ[2]

فلَقُرْبُ مَن تهوى وأنتَ مُتيَّمٌ
أشفى لدائكَ من بني مَروانِ

فلمّا رجع الى العراق بَرَّه ابنُ هُبَيرة ووَصله ، وكان يعظِّمُ بشّاراً ويُقدِّمه ، لمدحه قيساً وافتخاره بهم ، فلمّا جاءت دولة أهل خُراسان عَظُمَ شأنُه .

بشار والغزل

قدِمَ بشّار الأعمى على المهديّ بالرُّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسنٌ ، فنهاه عن التشبيب لغَيرة شديدة كانت فيه ، فأنشده مديحاً فيه ، يقول فيه :

كأنّما جئتُه أبشّرهُ
ولم أجىء راغباً ومُحتلِبا

١ احوية : جمع حواء بالكسر : جماعة البيوت المتدانية. اكلة: جمع اكليل، والاكليل: التاج وشبه عصابة تزين بالجواهر .

٢ الهملان : مصدر هملت العين : فاض دمعها .

يُزيّن المِنبرَ الأشمّ بعِطفِهِ
وأقوالِه اذا خَطَبا

تُشَمُّ نَعلاه في النَّديّ كما
يُشَمُّ ماءُ الرَيحانِ مُنتهَبا[1]

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وِفادة في كلّ سنة ونهاه عن التشبيب البتّة ، فقدِم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده :

تجالَلتُ عن فِهرٍ وعن جارَتَيْ فِهرِ
وودَّعتُ نُعمَى بالسلام وبالبِشْرِ[2]

وقالت سُليمى فيك عنّا جَلادةٌ
محلُّكَ دانٍ والزيارةُ عن عُفْرِ[3]

أخي في الهوى ما لي أراكَ جَفَوتَنا
وقد كنتَ تقفونا على العُسْرِ واليُسرِ

تثاقلتُ إلاّ عن يدٍ أستفيدُها
وزَوْرَةِ أملاكٍ أَشُدُّ بها أَزْرِي

---

١ منتهب : اي مأخوذ ومباح لمن شاء .

٢ تجاللت : ترفعت .

٣ الجلادة: الصلابة والصبر . العفر : الحين وطول العهد او الشهر او البعد او قلة الزيارة.

وأخرَجني من وِزْرِ خمسينَ حِجَّـةً
فتىً هاشميٌّ يَقشعِـرُّ من الوِزْرِ[1]

دفنتُ الهوى حيّـاً فلستُ بزائرٍ
سُليمى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ القُمري[2]

ومُصفرَّةٍ بالزعفـران جلودُهـا
اذا اجتُليتْ مثلَ المُفرطَحةِ الصُّفْرِ[3]

فرُبَّ ثقـالِ الرِّدفِ هبَّتْ تلومُني
ولو شَهِدتْ قبري لصلَّتْ على قبري

تركتُ لمهـديِّ الأنامِ وصالَـهـا
وراعيتُ عهداً بيننـا ليس بالخَتْرِ[4]

ولولا أميرُ المؤمنيـن محمـدٌ
لقبَّلتُ فاها أو لكان بها فِطْري

لعَمري لقـد أوقَرتُ نفسي خطيئةً
فمـا أنا بالمُزْدادِ وِقراً على وِقرِ

---

١ الوزر : الاثم .

٢ قرقر : صوت وردد صوته .

٣ يريد بها الدنانير .

٤ الختر : شبيه بالغدر والخديعة ، وقيل : هو اسوأ الغدر واقبحه .

في قصيدة طويلة امتدحه بها ، فأعطاه ما كان يُعطيه قبل ذلك ولم يَزِدْهُ شيئاً .

جزعه على ابنه

حضرنا[1] جنازة ابنٍ لبشّارٍ تُوفّي ، فجزع عليه جزعاً شديداً ، وجعلنا نعزّيه ونسلّيه فما يُغني ذلك شيئاً ، ثم التفت إلينا وقال : لله درُّ جريرٍ حيث يقول وقد عُزّي بسوادة ابنه :

قالوا نصيبُكَ من أجرٍ فقلت لهم :
كيفَ العزاءُ وقد فارقتُ أشبالي !

ودّعتني حين كفّ الدّهرُ من بصري
وحين صرتُ كعظم الرّمّة البالي

أودى سوادةُ يجلو مُقلتي لحِمٍ
بازٍ يُصَرصِرِ فوق المَربإ العالي[2]

إلاّ تكن لكَ بالدّيرين نائحةٌ
فرُبَّ نائحةٍ بالرّمل مِعوالِ[3]

---

١ الحديث لبعض اصحاب بشار .

٢ لحم : صفة لباز مقدمة عليه ، يقال : باز لحم اي يأكل اللحم او يشتهيه . المربأ : مكان البازي الذي يقف فيه .

٣ الديرين : موضع في الشام .

يعتذر عن الغزل

لمّا أنشد المهديُّ قول بشّار :

لا يُؤيسنّكَ من مُخبّأة
قولٌ تُغلّظُهُ وإن جَرَحا

عُسْرُ النساء الى مُياسَرة
والصّعب يمكن بعدما جَمحا

نهاه المهديّ عن قوله مثل هذا ؛ ثم حضر مجلساً لصديقٍ له يقال له عمرو بن سَمّان ، فقال له : أنشدنا يا أبا مُعاذٍ شيئاً من غزَلك ، فأنشأ يقول :

وقائلٍ هاتِ شوّقْنا فقلتُ له :
أنائمٌ أنت يا عمرو بنَ سَمّانِ ؟

أما سمعتَ بما قد شاع في مُضَرٍ
وفي الخليفَينِ من نَجْرٍ وقحطانِ [1] ؟

قال الخليفةُ لا تَنسِبْ بجاريةٍ
إيّاك إيّاك أن تَشقى بعِصيانِ

---

١ نجر : علم لمكة والمدينة .

تقديره جوائز الشعراء

قال مَروان بن أبي حَفصة : قدِمت البصرة فأنشدتُ بشّاراً قصيدة لي واستنصحتُه فيها ؛ فقال لي : ما أجودها ! تقدَمُ بغداد فتُعطى عليها عشرة آلاف درهم ؛ فجزعتُ من ذلك وقلت : قتلتني! فقال : هو ما أقول لك ؛ وقدمت بغداد فأعطيت عليها عشرة آلاف درهم ، ثم قدِمتُ عليه قَدْمةً أخرى فأنشدتُه قصيدتي :

طَرَقتْكَ زائرةٌ فحيِّ خيالَها

فقال : تُعطى عليها مائة ألف درهم ؛ فقدِمتُ فأعطيت مائة ألف درهم ، فعُدتُ الى البصرة فأخبرتُه بحالي في المرّتين ، وقلت له : ما رأيت أعجبَ من حَدْسك[1] ! فقال : يا بنيّ ، أما علمتَ أنه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمّك ! أخبرنا بهذا الخبر محمدُ بن يحيى الصُّولي عن مروان أنه قدِمَ على بشّار فأنشده قوله :

طَرَقتْك زائرةٌ فحيِّ خيالَها

فقال له : يُعطونك عليها عشرة آلاف درهم ، ثم قدِم عليه فأنشده قوله :

أنّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ
لبني البناتِ وِراثةُ الأعمامِ !

فقال : يُعطونك عليها مائة ألف درهم ، وذكر باقيَ الخبر مثل الذي قبله .

---

١ الحدس : الظن والتخمين.

تركه الصلاة

قال بعض أصحاب بشّار : كنا نكون عنده فإذا حضرَت الصلاة قمنا اليها ونجعل على ثيابه تراباً حتى ننظُرَ هل يقوم يصلّي ، فنعود والتراب بحاله وما صَلّى .

الحب قاضٍ جائر

بعث المهدي الى بشّار فقال له : قُل في الحبّ شِعراً ولا تُطِل ، واجعل الحبّ قاضياً بين المحبّين ولا تُسمّ أحداً ؛ فقال :

اجعل الحبّ بين حِبّي وبيني
قاضياً إنّني به اليومَ راضِ

فاجتمعنا فقلتُ : يا حِبّ نفسي
إنّ عَيني قليلةُ الاغماضِ

أنتَ عذّبتني وأنحلتَ جسمي
فارحم اليومَ دائمَ الأمراضِ

قال لي : لا يَحِلُّ حُكمي عليها
أنتَ أولى بالسُّقمِ والاحراضِ[1]

---

١ الاحراض : ادناف الحب .

قلتُ لمّا أجابني بهواها
شَمِل الجور في الهوى كلُّ قاضِ

فبعث اليه المهديّ: حكمتَ علينا ووافقنا ذاك، فأمر له بألف دينار.

أخذه عن أشعب

أنشد بشّارُ قوله :

يُروِّعُهُ السِّرارُ بكلِّ أرض
مخافةَ أن يكون به السِّرارُ[1]

فقال له رجل : أظنك أخذت هذا من قول أشعَب : ما رأيت اثنين يتسارّان إلاّ ظننتُ أنهما يأمران لي بشيء ؛ فقال : إن كنتُ أخذت هذا من قول أشعَب فإنّك أخذت ثِقَل الرُّوح والمقتَ من الناس جميعاً فانفردتَ به دونهم ، ثم قام فدخل وتركنا . وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشّار فقال فيه :

تركتْني الوُشاةُ نُصبَ المُسِرِّينَ
وأُحدُوثةً بكلِّ مكانِ

ما أرى خاليَينِ في السرِّ إلاّ
قلتُ ما يخلوانِ إلاّ لِشاني

---

١ السرار : المسارة وهي الكلام في خفية .

هجوه حماداً وعمراً

أتاني[1] أعشى سُليم وأبو حَنشٍ فقالا لي : انطلق معنا الى بشّار فسأله أن يُنشِدَكَ شيئاً من هجائه في حمّاد عَجْرَد أو في عمرٍو الظالميّ، فإنه إن عرَفنا لم يُنشِدْنا ؛ فمضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشّار فاستنشدتُه فأنشد قصيدة له على الدال فجعل يخرج من وادٍ في الهجاء الى وادٍ آخر وهما يستمعان وبشّار لا يعرفُهما . فلمّا خرجا قال أحدُهما للآخر : أما تعجبُ ممّا جاء به هذا الأعمى ؟ فقال أبو حنش : أمّا أنا فلا أعرّض ، والله ، والديَّ له أبداً ؛ وكانا قد جاءا يَزورانه ، وأحسَبُهما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته .

مدحه لواصل

كان بشّار صديقاً لأبي حُذيفة واصل بنِ عطاءٍ قبل أن يَدينَ بالرجعة[2] ويُكفّر الأمّة ، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلَّها الراء وكانت على البديهة ، وهي أطولُ من خُطبتَي خالد بن صفوانَ وشبيبِ بنِ شيبة[3] ، فقال :

---

١ المحدث رجل يدعى سعيداً .

٢ الرجعة : الايمان بالرجوع بعد الموت .

٣ شيب بن شيبة : هو أبو معمر البصري أحد الفصحاء البلغاء والاخباريين .

تكلّفوا القولَ والأقوامُ قد حفَلوا
وحبّروا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ

فقام مُرتجِلا تَغلي بَداهَتُهُ
كَمِرْجَلِ القَينِ لمّا حُفَّ باللّهَبِ

وجانَبَ الراءَ لم يَشعُرْ به أحدٌ
قبل التصفّح والإغراقِ في الطلبِ

قال[1] : فلمّا دانَ بالرجعة زعم أن الناس كلّهم كفروا بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقيل له : وعليّ بن أبي طالب ؟ فقال :

وما شرُّ الثلاثةِ أمَّ عمرٍو
بصاحبكِ الذي لا تَصبَحينا[2]

شهادته بالكميت

قال بشّار : ما كان الكُمَيتُ شاعراً ؛ فقيل له : وكيف وهو الذي يقول :

---

١ القول للجاحظ .

٢ تصبحين : تسقين الصبوح ، وهو الشراب أول النهار . وهذا البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته المشهورة التي يقول في مطلعها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

أَنِصْفُ امرىءٍ من نصف حيٍّ يسُبُّني
لعَمري لقد لاقيتُ خَطْباً من الخَطْبِ !

هنيئاً لكلبٍ أنَّ كلباً يسُبُّني
وأنّيَ لم اردُدْ جواباً على كلبِ !

فقال بشّار : لا بلْ [1] شانِئُكَ ، أترى رجلاً لو ضَرَطَ ثلاثين سنة لم يُستَحْلَ من ضرطهِ ضَرطةٌ واحدة !

اعمى يقود بصيراً

كنّا [2] مع بشّار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل يفهّمُه ولا يَفهَمُ ، فأخذ بيده وقام يقوده الى منزل الرجل وهو يقول :

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لكُمُ
قد ضلَّ مَن كانت العُميانُ تَهديهِ

حتى صار به الى منزل الرجل ، ثم قال له : هذا هو منزله يا أعمى !

معارضته لعطاء الملط

زعم أبو دعامة أن عطاء الملط أخبره أنه أتى بشّاراً فقال له : يا أبا

---

١ لا بل : لا برأ .

٢ الحديث لمحمد بن الحجاج .

مُعاذ ، أُنشِدُكَ شعراً حسناً ؟ فقال : ما أسرّني بذلك ! فأنشده :

أعاذِلتَيَّ اليومَ ويلَكُما مَهْلا
فما جَزَعاً مِ الآنَ أبكي ولا جَهْلا[1]

فلمّا فرغ منها قال له بشّار : أحسنت ! ثم أنشده على رَويّها ووزنها :

لقد كاد مـا أُخفي من الوَجدِ والهوَى
يكون جوًى بـين الجوانح أو خَبْـلا[2]

إذا قال مهلاً ذو القرابة زادني
وَلُوعاً بذكراها ووجداً بهـا مَهلا

فـلا يحسَب البِيضُ الأوانسُ أنّ في
فؤادي سوى سُعْدَى لغانيـةٍ فضْـلا

فأقسمُ إن كان الهوى غيرَ بالغٍ
بيَ القتلَ من سُعدَى لقد جاوز القتـلا

فيا صاحِ خبّرني الذي أنت صانعٌ
بقاتلتي ظُلماً ومـا طَلَبتْ ذَحْلا[3]

سوى أنّني في الحبّ بيني وبينهـا
شَدَدْتُ على أكظامِ سِرٍّ لهـا قُفْلا[4]

١ م الآن : من الآن .

٢ الخبل : الجنون .

٣ الذحل : الثأر .

٤ أكظام : جمع كظم بالفتح وهو مخرج النفس .

فاستحسنتُ القصيدة وقلتُ : يا أبا مُعاذ ، قد والله أجدتَ وبالغت ، فلو تفضّلتَ بأن تُعيدَها ! فأعادها على خلاف ما أنشدَنيها في المرّة الأولى ، فتوهّمتُ أنه قالها في تلك الساعة .

ميله الى الالحاد

كنتُ[1] أكلّم بشّاراً وأردّ عليه سُوءَ مذهبه بميله الى الإلحاد ، فكان يقول : لا أعرف إلاّ مـــا عاينتُه أو عاينتُ مثلَهُ ، وكان الكلامُ يطول بيننـــا ، فقال لي : مـــا أظنّ الأمر يا أبا خالد إلاّ كما تقول ، وأن الذي نحن فيه خِذلانٌ ، ولذلك أقول :

طُبعتُ على ما فيَّ غيرَ مُخيَّر
هوايَ ، ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذَّبا

أُريدُ فـلا أُعطى وأُعطى ولم أُرِدْ
وقصَّر عِلمي أنْ أنالَ المغيَّبـا

فأُصرَفُ عن قصدي وعلمي مُقَصَّرٌ
وأُمسي وما أُعقِبْتُ إلاّ التّعجُّبا

---

١ الحديث لأبي احمد بن خلاد .

عتابه للمنقري

كان بالبصرة فتىً من بني مِنقرٍ أمُّه عِجْليَّة، وكان يبعث الى بشّار في كل أُضحيةٍ بأضحيَّة من الأضاحي التي كان أهل البصرة يسمّنونها سنةً وأكثر للأضاحي، ثم تباع الأضحية بعشرة دنانير، ويبعث معها بألف درهم؛ فأمر وكيله في بعض السنين أن يُجرِيَه على رسمه، فاشترى له نعجةً كبيرة غيرَ سمينة وسرقَ باقي الثمن، وكانت نعجةً عبدليَّة من نعاج عبدالله بن دارم وهو نِتاجٌ مرذولٌ، فلمّا أُدخِلتْ عليه قالت له جاريته ربابةُ: ليست هذه الشاةُ من الغنم التي كان يَبعثُ بها اليك؛ فقال: أدنيها منّي، فأدنتْها ولمسَها بيده ثم قال: اكتب يا غلامُ:

وهبتَ لنا يا فتى مِنقرٍ
وعِجلٍ وأكرَمَهُم أوّلا

وأبسطَهم راحةً في النّدى
وأرفعَهم ذروةً في العُلا

عجوزاً قد اوْردَها عمرُها
وأسكنَها الدهرُ دارَ البِلى

سَلوحاً توهّمتُ أنّ الرِّعاءَ
سَقوها ليُسهِلَها الحنظلا[1]

---

١ سلوح: وصف من السلح وهو للطير والبهائم كالتغوط للانسان، وقد يستعمل للانسان على وجه التشبيه.

وأضرَطَ من أمٍّ مُبتاعِها
إن اقتحمتْ بُكرةً حَرْمَلا[1]

فلو تأكلُ الزُّبدَ بالنَّرسِيانِ
وتَدَّمِجُ المِسكَ والمَندَلا[2]

لمَا طَيَّبَ الله أرواحها
ولا بلْ من عظمها الأقحَلا[3]

وضعتُ يميني على ظهرها
فخِلتُ حَراقِفَها جَنْدَلا[4]

وأهوتْ شِمالي لعُرقوبِها
فخِلتُ عَراقِبَها مِغزَلا

وقلَّبتُ أليتَها بعد ذا
فشبَّهتُ عُصعُصَها مِنجَلا[5]

فقلتُ أبيع فلا مشرَباً
أُرَجّي لديها ولا مأكَلا

---

١ الحرمل : نبات كالسمسم .
٢ النرسيان : نوع من اجود التمر . المندل : العود الرطب . ادمج في الشيء : مثل اندمج : دخل فيه واستحكم ، والنصب بعده على نزع الخافض .
٣ الأقحل : وصف من قحل الشيء اذا يبس .
٤ الحراقف : جمع حرقفة ، والحرقفة : رأس الورك .
٥ العصعص : اصل الذنب .

أمَ اشوي واطبُخُ من لحمها
وأطيبُ من ذاكَ مَضغُ السَّلى[1]

اذا ما أُمِرَّتْ على مجلسٍ
من العُجْبِ سَبَّح أو هَلَّلا

رأوا آيةً خلفَها سائقٌ
يحُثُّ وإن هَرولتْ هَرولا

وكنتَ أمرتَ بها ضَخمةً
بلحمٍ وشحمٍ قد استُكمِلا

ولكنَّ رَوحاً عدا طورَهُ
وما كنتُ أحسَبُ أن يفعلا

ولولا مكانُكَ قلَّدتُهُ
عِلاطاً وأنشقتُهُ الحَردَلا[2]

ولولا استِحائِيكَ خَضَّبتُها
وعلَّقتُ في جِيدها جُلجُلا

فجاءتْكَ حتى ترى حالَها
فتعلَمَ أنّي بها مُبتَلى

---

١ السلى : الجلدة التي يكون فيها الولد في بطن امه .

٢ العلاط : حبل يجعل في عنق البعير وسمة تكون في عرض عنقه .

سألتُك لحماً لصِبيانِنا
فقد زِدتَني فيهم عَيْلا

فخُذها وأنت بنا مُحسِنٌ
وما زلتَ بي مُحسناً مُجمِلا

وبعث بالرقعة الى الرجل ؛ فدعا بوكيله وقال له : ويلك ! تعلم أني أفتدي من بشّار بما أعطيه وتُوقِعني في لسانه ! اذهب فاشترِ أُضحيّة ، وإن قدَرتَ أن تكون مثل الفيل فافعل ، وابلُغ بها ما بلغتْ وابعث بها اليه .

يرثي بنيته

رأيت[١] بشاراً المرعّث يرثي بنيّةً له وهو يقول :

يا بنتَ من لم يكُ يهوى بنتا
ما كنتِ إلاّ خمسةً أو ستّا

حتى حلَلتِ في الحشى وحتّى
فتّتِ قلبي من جوًى فانفتّا

لأنتِ خيرٌ من غلامٍ بتّا
يُصبح سكرانَ ويُمسي بهتا[٢]

١ المحدث عمرو بن العلاء .

٢ بت : انقطع عن العمل . البهت : الدهش والتحير أو التعب، واستعمال المصدر هنا مكان اسم الفاعل للمبالغة في الوصف .

مدحه لنافع

كان نافع بن عُقبة بن سَلْم جواداً مُمَدَّحاً ، وكان بشار منقطعاً الى أبيه ، فلمّا مات أبوه وفد اليه وقد وَلِيَ مكان أبيه ، فمدحه بقوله :

ولنافعٍ فضلٌ على أكفائه
إنَّ الكريمَ أحقُّ بالتفضيلِ

يا نافعَ الشّبراتِ حين تناوحتْ
هُوجُ الرّياحِ وأعقبتْ بِوُبُولِ [1]

أشبهتَ عُقبةَ غيرَ ما مُتشبّه
ونشأتَ في حِلمٍ وحُسنِ قَبُولِ

ووليتَ فينا أشهراً فكفيتَنا
عَنَتَ المُريبِ وسلّةَ التضليلِ [2]

تُدعى هِلالاً في الزمان ونافعاً
والسَّلْمُ نِعمَ أبُوَّةُ المأمُولِ

فأعطاه مثل ما كان أبوه يُعطيه في كلّ سنة اذا وفد عليه .

---

١ الشبرات : جمع شبرة ، والشبرة بالكسر : العطية .

٢ للسلة معان كثيرة، فلعل اقربها هنا: اخراج السيوف من اغمادها عند القتال، ويكون المراد بسلة التضليل : ظهور التضليل وانتشاره ، ولعل الصواب سنة التضليل .

حديث الحمار

جاءنا بشّار يوماً فقلنا له[١] : ما لك مغتمّاً ؟ فقال : مات حماري فرأيته في النوم فقلتُ له : لِمَ مُتّ ؟ ألم أكن أحسن اليك ! فقال :

سيّدي خُذْ بي أتاناً
عند باب الأصبهاني

تيّمتني ببنانٍ
وبدَلٍّ قد شجاني

تيّمتني يومَ رُحنا
بثناياها الحسانِ

وبغُنْجٍ ودلالٍ
سَلَّ جسمي وبراني

ولها خَدٌّ أسيلٌ
مثلُ خدّ الشيفرانِ

فلذا متُّ ولو عِشتُ
إذاً طال هواني

فقلتُ له : ما الشيفران ؟ قال : ما يدريني ! هذا من غريب الحمار ، فإذا لقيتَه فاسأله .

---

١ الحديث لمحمد بن الحجاج .

العيش فرص

شهِد بشّار مجلساً فقال : لا تُصيّروا مجلسنا هذا شعراً كلّه ولا حديثاً كلّه ولا غناءً كلّه ، فإنّ العيش فُرَصٌ ، ولكن غنّوا وتحدّثوا وتناشدوا وتعالَوا نتناهب العيش تناهُباً .

وصف ابن عائشة له

جاء بشّار يوماً الى أبي[1] وأنا على الباب ، فقال لي : من أنت يا غلام ؟ فقلتُ : مِن ساكني الديار ؛ قال فكلّمني والله بلسانٍ ذَرِبٍ وشِدقٍ هَريت[2] .

يتنجز هدية

كان سُهيل بن عُمَر القرشيّ يبعث الى بشّار في كل سنة بقواصر[3] تمر ، ثم أبطأ عليه سنة ؛ فكتب اليه بشّار :

---

١ المحدث ابن عائشة .

٢ يقال رجل ذرب اللسان اي حديده . الشدق الهريت : الواسع .

٣ القواصر: جمع قوصرة بتخفيف الراء وبتشديدها، وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري .

تمرُكُمْ يا سهيلُ دُرٌّ وهل يُطمَعُ
في الدرِّ مِن يَديْ مُتَعنّي[1] !

فاحبُني يا سهيلُ من ذلك التمرِ
نواةً تكون قرطاً لبنتي

فبعث اليه بالتمر وأضعفه له ، وكتب اليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر .

معابثاته

جلس الى بشّار أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن ينشدَهم شيئاً ممّا أحدثه ، فأنشدهم قوله :

أنّى دعاه الشوقُ فارتاحا
من بعد ما أصبح جَحجاحا[2]

حتّى أتى على قوله :

في حُلّتي جسمُ فتىً ناحلٍ
لو هبّت الريحُ بـه طاحا[3]

---

١ متعت : متكبر متجاوز الحد .
٢ الجحجاح : السيد المسارع في المكارم .
٣ طاح : ذهب وهلك .

قالوا : أتقول هذا وأنت كأنك فيل عرضُك أكثر من طولك !
فقال : قوموا عنّي ، فإني مشغول القلب ، لستُ أنشط اليومَ لمشاتمتكم .

رثاؤه لأصدقائه

كان لبشّار خمسة نُدماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البَراء ، فركب في زَورق يريد عُبور دجلة العوراء[١] فغرقَ ، وكان المهديّ قد نهى بشّاراً عن ذكر النساء والعشق ، فكان بشّار يقول : ما خيرٌ في الدنيا بعد الأصدقاء ، ثم رثى أصدقاءه بقوله :

يابنَ موسى ماذا يقول الإمامُ
في فتاة بالقلب منها أُوامُ[٢] ؟

بتُّ من حبّها أُوَقّرُ بالكأسِ
ويهفو على فؤادي الهُيامُ[٣]

لم يكن بينها وبينيَ إلا[٤]
كُتُبُ العاشقين والأحلامُ

---

١ دجلة العوراء : دجلة البصرة .
٢ الأوام : حر العطش .
٣ أُوقر : من وقره : عظمه وجرحه (شتمه وسبه) ولعله اراد انه يحمل وزر شرب الخمرة . الهيام : الجنون من العشق .

يابنَ موسى اسقني ودَع عنكَ سَلمى
إنَّ سَلمى حِمىً وفيَّ احتشامُ

رُبَّ كأسٍ كالسلسبيل تعلَّلتُ
بها ، والعيونُ عنّي نيامُ[1]

حُبستْ للشُراة في بيت رأس
عُتّقتْ عانساً عليها الخِتامُ[2]

نفحتْ نفحةً فهزّت نديمي
بنسيمٍ وانشقَّ عنها الزُكامُ

وكأنَّ المعلولَ منها اذا راحَ
شَجٍ في لسانه بِرْسامُ[3]

صدمتْه الشَّمولُ حتى بعينيه
انكسارٌ وفي المفاصل خامُ[4]

---

١ السلسبيل : الماء السهل المساغ .

٢ بيت رأس: اسم لقريتين، في كل واحدة منهما كروم كثيرة، تنسب اليهما الخمر، احداهما بيت المقدس، والأخرى من نواحي حلب. العانس: التي طال مكثها في اهلها ولم تتزوج.

٣ البرسام : علة يهذى فيها ، وهو ورم حاد يعرض للحجاب الحاجز ثم يتصل بالدماغ ، فارسي معرب مركب من بر وهو الصدر وسام وهو الموت ، ويقال لهذه العلة الموم ، ولعله يريد بالبرسام هنا اثره وهو الهذيان .

٤ الخام : طاقات زرع غضة رطبة . وربما اراد بقوله: وفي المفاصل خام، ان مفاصله ارتخت حتى كأنها خام في تثنيها وتكسرها .

وهو باقي الأطراف حَيَّت به الكأسُ
ومَاتت أوصالُـه والكلام[1]

وفتىً يشربُ المدامة بالمالِ
ويمشي يومُ مـا لا يُوامُ

أنفدتْ كأسُه الدنانيرَ حتى
ذهب العَينُ واستمرَّ السَّوام[2]

تركتْه الصَّهباءُ يرنو بعينٍ
نام إنسانُها وليست تنامُ

جُـنَّ من شَربة تُعَـلّ بأخرى
وبكى حين سار فيـه المُدامُ

كان لي صاحباً فأودى بـه الدهرُ
وفارقتُـه عليـه السَّلامُ

بقيَ الناس بعد هُلْكِ نَداماي
وقوعاً لم يشعروا ما الكلامُ

---

١ حي بالادغام : لغة في حيي كرضي .
٢ العين : الذهب . استمر : ذهب . السوام : الابل الراعية، والمراد بها هنا المال الراعي كالسائمة .

كجَزور الأيسار لا كبدٌ فيها
لباغٍ ، ولا عليها سَنـامُ[1]

يابنَ موسى فَقْدُ الحبيب على العـين
قَـذاةٌ وفي الفـؤاد سَقـامُ

كيف يصفو ليَ النّعيم وحيـداً
والأخـلاّءُ في المقـابر هـامُ[2] !

نفسَتْهم عـليَّ أمُّ المنـايا
فأنامَتْهمُ بعُنفٍ فناموا[3]

لا يَغيض انسجـامُ عيني عليهـم
إنّمـا غاية الحزين السّجـامُ[4]

وفادته على عمر بن هبيرة

وفد (بشّار) الى عمر بن هُبيرة وقد مدحه بقوله :

---

١ جزور الأيسار : الناقة التي تنحر للمقامرة عليها . السنام : حدبة في ظهر البعير .
٢ هام : أموات ، يقال : أصبح فلان هامة أي مات ، وهذا هامة اليوم او غد أي أنه مشف على الموت .
٣ نفستهم : حسدتهم .
٤ السجام : سيلان الدمع .

يخاف المنايا أن ترحَّلتُ صاحبي
كأنَّ المنايا في المُقامِ تُناسِبُهْ

فقلتُ له : إنَّ العراق مُقامُهُ
وخيمٌ اذا هبَّت عليك جنائبُهْ[1]

لألقى بني عَيلانَ إنَّ فَعالهم
تزيد على كلِّ الفعَـال مَراتبُهْ[2]

أولاك الأولى شقّوا العمى بسيوفهم
عن العين حتّى أبصر الحقَّ طالبُـهْ

وجيشٍ كجُنح الليل يزحَف بالحصا
وبالشوكِ والخَطّيِّ حُمراً ثعالبُهْ[3]

غدَونا له والشمسُ في خِدر أمّها
تُطالعنا والطَّلُّ لم يَجرِ ذائبُهْ[4]

---

١ الجنائب : الرياح التي تهب من الجنوب .

٢ بني عيلان : قيس عيلان . الفعال : الجود والكرم .

٣ جنح الليل : طائفة منه، شبه الجيش به في اسوداده لما عليه من الحديد . الحصا : العدد الكثير . الشوك : السلاح . الخطي : القنا الخطي : الرماح ، نسبة الى الخط مرفأ في البحرين تباع فيه الرماح . الثعالب: جمع ثعلب، وهو طرف الرمح الداخل في السنان.

٤ خدر امها : مخبأها . الخدر : ظلمة الليل . تطالعنا : تديم النظر الينا . الطل: الندى .

بضربٍ يذوق الموتَ من ذاق طعمَهُ
وتُدرِكُ من نجّى الفرارُ مَثالبُهْ

كأنَّ مُثارَ النَّقع فوق رؤوسنا
وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُهْ[1]

بعثنا لهم موتَ الفُجاءة إنّنا
بنو الموت خفّاقٌ علينا سَبائبُهْ[2]

فراحوا فريقٌ في الإسار ومثلُهُ
قتيلٌ ومثلٌ لاذ بالبحر هاربُهْ

اذا الملكُ الجبّار صعّر خدّه
مَشينا اليه بالسيوف نعاتبُهْ[3]

فوصله بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أعطيها بشّار ورَفعتْ من ذكره ، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها :

اذا كنتَ في كلّ الأمور مُعاتباً
صديقكَ لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ

---

١ النقع : الغبار . تهاوى : اصله تتهاوى حذفت منه احدى التائين . وفي هذا البيت تشبيه حسي طرفاه مركبان ، ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من تساقط اجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة في جوانب شيء مظلم .

٢ السبائب : جمع سبيبة وهي شقة رقيقة من الكتان ، والمراد بها هنا الرايات .

٣ صعر خده : اماله عن النظر الى الناس تهاوناً بهم وكبراً .

فعِش واحداً أو صِلْ اخاكَ فإنهُ
مُقارفُ ذنبٍ مرّةً ومجانبُهْ[1]

اذا أنت لم تشرَبْ مِراراً على القَذى
ظَمِئتَ، وأيّ الناس تصفو مَشاربُهْ؟

شعره الغرامي

كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البَردانُ ، وكان النساء يحضُرنه فيه ، فبينما هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشِقها ، فدعا غلامه فقال : اذا تكلّمتِ المرأة عرّفتُكَ فاعرِفها ، فاذا انصرفتْ من المجلس فاتبعها وكلّمها وأعلمها أنّني لها مُحِبّ ؛ وقال فيها :

يا قومُ أُذني لبعض الحيّ عاشقةٌ
والأذنُ تعشق قبل العين أحيانا

قالوا: بِمن لا ترى تَهذي؟ فقلت لهم:
الأذنُ كالعين تُوفي القلبَ ما كانا[2]

هل من دواءٍ لمشغوفٍ بجاريةٍ
يلقى بلُقيانها رَوحاً ورَيحانا[3] ؟

---

١ مُقارف : مخالط .

٢ توفي : تبلغ .

٣ الروح : نسيم الريح والراحة والسرور .

وقال في مثل ذلك :

قالت عُقَيل بن كَعب إذ تعلّقها
قلبي فأضحى بـه من حبّها أثرُ :

أنّى ولم ترها تَهذي ؟ فقلتُ لهم :
إنّ الفؤاد يَرى مـا لا يَرى البصرُ

أصبحتُ كالحائم الحَيران مُجتنَباً
لم يقضِ وِرداً ولا يُرجى له صَدَرُ[1]

قال يحيى بن عليّ : وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنـه لبشّار في هذا المعنى وكان يستحسنه :

يُزهّدني في حبّ عَبـدةَ مَعشرٌ
قلوبهُمُ فيهـا مخالفـةٌ قلبي

فقلتُ دَعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعـين يُبصِر ذو الحبّ

فما تبصر العينـان في موضع الهوى
ولا تسمَـع الأذنان إلاّ من القلبِ

وما الحسنُ إلاّ كلُّ حسنٍ دعا الصبا
وألّف بين العِشق والعاشِقِ الصّبّ

---

١ الحائم : العطشان يحوم حول الماء .

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك :

يا قلبُ ما لي أراكَ لا تَقِرُ
إيّاكَ أعني وعندكَ الخبرُ[1]

أضيعتَ ، بعدَ الألى مضوا ، حُرَقاً
أم ضاع ما استودعوك إذ بكروا؟

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك :

إنَّ سليمى والله يكلؤها
كالسُّكر تزدادهُ على السُّكرِ

بُلِّغتُ عنها شكلاً فأعجبني
والسّمعُ يكفيك غيبةَ البصرِ[2]

تخابثه على المهدي

زعم أبو العالية أنَّ بشّاراً قدِمَ على المهديّ ، فلمّا استأذن عليه قال له الربيع : قد أذِن لك وأمرك ألاّ تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب ، فادخُل على ذلك ؛ فأنشده قوله :

يا منظراً حسَناً رأيتُهْ
من وجه جارية فديتُهْ

---

١ لا تقر : لا ترزن ولا تستقر ، من الوقار اي الرزانة .

٢ الشكل : غنج المرأة ودلالها .

بعثتْ إليَّ تَسومني
بُردَ الشباب وقد طوَيتُهْ

واللهِ ربِّ محمّد
ما إن غَدرتُ ولا نويتُهْ

أمسكتُ عنكِ وربّما
عَرضَ البلاءُ وما ابتغيتُهْ

إنَّ الخليفة قد أبى
واذا أبى شيئاً أبيتُهْ

ومُخضّب رَخص البنانِ
بكى عليَّ وما بكيتُهْ

ويشوقني بيتُ الحبيبِ
اذا ادّكرتُ وأين بيتُهْ

قام الخليفة دونَه
فصبرتُ عنه وما قليتُهْ

ونهانيَ الملك الهمامُ
عن النّسيب وما عصيتُهْ

لا بل وفَيتُ فلم أضِعْ
عهداً ولا رأياً رأيتُهْ

وأنا المُطِلّ على العِدا
وإذا غلا عِلْقٌ شريتُه[1]

أصفي الخليلَ إذا دنا
وإذا نأى عنّي نأيتُه[2]

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب ، فحرمه ولم يُعطه شيئاً ؛ فقيل له : إنه لم يستحسن شعرك ؛ فقال : والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهرُ لم يُخشَ صرفُه على أحد، ولكنّه كذّب أملي لأني كذَبت في قولي . ثم قال في ذلك :

خليليّ إنّ العسرَ سوف يُفيقُ
وإنّ يساراً في غدٍ لخليقُ[3]

وما كنتُ إلّا كالزمان اذا صحا
صَحوتُ وإن ماق الزمان أموقُ[4]

---

١ العلق : النفيس من كل شيء ، والشطر الأخير من هذا البيت رواية أخرى وهي :
— وإذا غلا الحمد اشتريته —

٢ أصفي الخليل : اي اصفيه الود ، يقال : اصفيت فلاناً الود اي اخاصته له .

٣ سوف يفيق: اي سوف يكون بعده خصب ،من أفاق الزمان: أخصب بعد جدب.

٤ ماق : حمق .

أأدْمـاء لا أسطيع في قلّة الثّرى
خُزوزاً ووشيـاً والقليلُ مَحيـقُ[1]

خُذي من يدي مـا قلّ إنّ زماننا
شَمُوسٌ ومعروف الرجال رقيقُ[2]

لقـد كنتُ لا أرضى بأدنى معيشة
ولا يشتكي بُخلًا عليّ رفيقُ

خليـليّ إنّ المـال ليس بنافـعٍ
اذا لم ينل منه أخٌ وصديقُ

وكنتُ اذا ضـاقت عليّ مَحلّـةٌ
تيمّمتُ أخرى مـا عليّ تضيـقُ[3]

ومـا خاب بين الله والناس عامـلٌ
له في التّقى أو في المحامـد سُوقُ

---

١ الأدماء : لغة الظبية التي أشرب لونها بياضاً ، ومن معانيها أيضاً السمراء ، مؤنث آدم وهي هنا علم ، كلمياء وعفراء . الخزوز جمع خز وهو نوعان : احدهما ثياب تنسج من صوف وحرير ، وثانيهما ثياب تنسج من الحرير وحده . الوشي : نوع من الثياب الموشية اي المنقوشة التي خلط فيه لون بلون . محيق : لا خير فيه ، وهو فعيل من محقه الله اي اذهب خيره وبركته .

٢ شموس : متكبر ، ومنه فرس شموس : لا يمكن احداً من ظهره ، ورجل شموس : عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده .

٣ تيمم : قصد .

ولا ضاق فضلُ الله عن مُتعفّـف
ولكنَّ أخلاقَ الرجـال تَضيقُ

المهدي يتهدده

بلغ المهديَّ قولُ بشّار :

قاسِ الهمومَ تنلْ بها نُجُحا
والليـلَ إنَّ وراءه صُبُحـا

لا يُؤيسنّك من مُخبّـأة
قولٌ تُغلّظه وإن جَرَحـا

عُسر النسـاء الى مُيـاسَرة
والصّعبُ يمكن بعدما جَمَحا

فلمّا قدِم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه ، وكان المهدي غيوراً، فغضِـب وقال : أتحضُّ الناس على الفجور وتقذف المحصَنات المخبّآت! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتـاً واحداً في نسيبٍ لآتـينّ على روحك! فقال بشّار في ذلك :

والله لولا رِضـا الخليفة مـا
أعطيتُ ضيمـاً عليَّ في شَجَـنِ

وربّما خيرَ لابن آدمَ في الكُرهِ
وشَقّ الهوى على البدنِ[1]

فاشربْ على أبنة الزمان فما
تلقى زماناً صَفا من الأبَنِ[2]

الله يُعطيكَ من فواضلهِ
والمرء يُغضي عيناً على الكُمَنِ[3]

قد عشتُ بين الرّيحان والراح والمِزْهرِ
في ظلّ مجلس حسنِ[4]

وقد ملأتُ البلاد ما بين فُغفُور
الى القيروان فاليمنِ[5]

قال عمر بن شبّة : فُغفُور : ملك الصين .

شِعراً تُصلّي له العواتِقُ والثّيبُ
صلاةَ الغُواة للوثَنِ[6]

---

١ خير له في الشيء : جعل له فيه الخير .

٢ الابن : جمعُ ابنة وهي العداوة والحقد، والمراد هنا الكدر .

٣ الكمن : جمع كمنة وهي جرب وحمرة تبقى في العين من رمد يساء علاجه، وقيل : ورم في الاجفان ، وقيل : قرح في المآقي .

٤ المزهر : العود يضرب به أو الدف الكبير ينقر عليه .

٥ فغفور : بلاد الصين .

٦ العواتق : جمع عاتق وهي الجارية أول ما ادركت . ويريد بقوله والثيب الثيبات جمع ثيب وهي نقيض البكر .

ثم نهاني المهديّ فانصرفتْ
نفسي صنيعَ الموفّق اللّقِـنِ[1]

فالحمد لله لا شريكَ لهُ
ليس بباقٍ شيءٌ على الزّمنِ

ثم أنشده قصيدته التي أوّلها :

تجالتُ عن فِهرٍ وعن جارتَيْ فِهرِ

ووصَف بها تركه التشبيب ، ومدحه فقال :

تسلّى عن الأحباب صَرّامُ خُلّةٍ
ووصّالُ أخرى ما يُقيم على أمرِ

وركّاض أفراس الصّبابة والهوى
جرت حِجَجاً ثم استقرّت فما تَجري

فأصبحنَ ما يُركبنَ إلاّ الى الوغَى
وأصبحتُ لا يُزْرَى عليّ ولا أزري

فهذا وإنّي قد شرَعتُ مع التّقى
وماتت همومي الطارقاتُ فما تسري[2]

---

١ اللقن : سريع الفهم .

٢ شرعت مع التقى : اظهرت الحق وقمعت الباطل باصطحابي للتقى .

ثم قال يصف السفينة :

وعذراء لا تجري بلحمٍ ولا دمٍ
قليلة شكوى الأين مُلجمة الدُّبرِ[1]

اذا ظَعَنَتْ فيها الفُلول تَشخَّصت
بفُرسانها لا في وعُوثٍ ولا وعرِ[2]

وإن قَصدتْ زلَّت على مُتنصَّب
ذليل القوى لا شيءَ يفري كما تفري[3]

تُلاعب تيَّارَ البحور وربّما
رأيتَ نفوس القوم من جَريها تجري

وكان قال : « نينان البحور » فعابه بذلك سيبويه فجعله « تيّار البحور » .

الى ملك من هاشم في نبوّة
ومن حِميَرٍ في الملك والعدد الدَّثرِ[4]

مِنَ المشترين الحمد تندَى من النّدى
يداه ويندى عارضاه من العِطرِ

١ الاين : الاعياء. الدبر : مؤخر السفينة .

٢ الفلول : الجماعات . وعوث : جمع وعث وهو المكان السهل اللين .

٣ المتنصب : الموضوع والمرفوع ، ولعله اراد وجه البحر او موجه .

٤ الدثر : الكثير من كل شيء .

فألزمتُ حبلي حبل من لا تُغبّهُ
عُفاة الندى من حيثُ يَدري ولا يَدري

بَنى لك عبدالله بيتَ خلافة
نزلتَ بها بين الفَراقد والنَّسرِ[1]

وعندك عهدٌ من وَصاة محمّد
فرَعتَ به الأملاك من ولد النَّضرِ[2]

فلم يحظَ منه أيضاً بشيء ، فهجاه ، فسُعِي به الى يعقوب بن داود ، وكان بشّار قد هجاه فقال :

بني أميّةَ هُبّوا طال نومكُمُ
إنّ الخليفة يعقوبُ بنُ داودِ

ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفةَ الله بين الزّقّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجاك ؛ فقال : بأي شيء ؟ فقال : بما لا ينطق

---

١ الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به ، وهما فرقدان . وجاء في الشعر مثنى ومفرداً لشدة اتصالهما ، وجمعه فراقد . النسر : كوكب ، وهما اثنان : النسر الواقع والنسر الطائر .

٢ الوصاة : الوصية . فرعت : علوت بالشرف ، يقال : فرع فلان القوم اي علاهم بالشرف أو الجمال .

به لساني ولا يتوهمه فكري ؛ قال له : بحياتي إلا أنشدتني ! فقال : والله لو خيّرتني بين إنشادي إيّاه وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي ؛ فحلف عليه المهديّ بالأيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره ؛ فقال : أمّا لفظاً فلا ، ولكنّي أكتبُ ذلك ؛ فكتبه ودفعه اليه ، فكاد ينشقّ غيظاً ، وعزَمَ على الانحدار الى البصرة للنّظر في أمرها ، وما وكْدُهُ[1] غير بشّار ، فانحدر ، فلمّا بلغ الى البَطِيحة[2] سمع أذاناً في وقت ضُحىً النهار ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ! فإذا بشّار يؤذّن سكرانَ ؛ فقال له : يا زنديقُ ، عجبتُ أن يكون هذا غيرَك ، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ! ثم دعا بابن نهيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحرّاقة[3] سبعين سوطاً أتلفه فيها ، فكان اذا أوجعه السوط يقول : حَسّ ، وهي كلمة تقولها العرب للشيء اذا أوجع ، فقال له بعضهم : أنظر الى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول : حَسّ ، ولا يقول : باسم الله ؛ فقال : ويلك ! أطعامٌ هو فأسمّيَ الله عليه ! فقال له الآخر : أفلا قلتَ : الحمد لله ! قال : أوَنعمةٌ هي حتى أحمد الله عليها ! فلمّا ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه ، فألقي في سفينة حتى مات ثم رُميَ به في البَطيحة ، فجاء بعض أهله فحملوه الى البصرة فدُفن بها .

---

١ وكده : قصده .

٢ البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

٣ الحراقة : واحدة الحراقات وهي سفن بالبصرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو .

هجاؤه لوالي البصرة

لمّا وليَ صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزيرِ المهديّ البصرة ، قال بشّار يهجوه :

همُ حمَلوا فوقَ المنابر صالحاً
أخاكَ فضجّت من أخيك المنابرُ

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهديّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أبلَغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين ! قال : ويحك ! وما قال ؟ قال : يُعفيني أمير المؤمنين من إنشاده ، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدمه . وخاف يعقوب بن داود أن يقدَم على المهدي فيمدحَه ويعفو عنه ، فوجّه اليه من استقبله فضربه بالسّياط حتى قتله ثم ألقاه في البَطيحة في الخرّارة[1] .

حبه لعبدة

كان لبشّار مجلِسٌ يجلس فيه يقال له البَردانُ ، فبينما هو في مجلِسه ذات يومٍ ، وكان النساءُ يحضُرنَه ، إذ سمِعَ كلام امرأة ، يقال لها عَبْدة ، في المجلس ، فدعا غُلامَه فقال : إني قد عُلّقتُ

---

[1] الخرارة : موضع بالبطيحة .

امرأةٌ ، فإذا تكلّمت فانظر مَن هي واعرِفها ، فإذا انقضى المجلِسُ وانصرف أهلُه فاتّبِعها وكلّمْها وأعلِمها أني مُحبٌّ لها ، وأنشدها هذه الأبيات وعرّفها أني قلتُ فيها :

قالوا : بمَن لا ترَى تهذي ؟ فقلتُ لهم :
الأذنُ كالعيَن تُوفي القلبَ ما كانا[1]

ما كنتُ أوّلَ مشغوفٍ بجاريةٍ
يَلقى بلُقيانِها رَوْحاً وريحانا[2]

ويروى : هل من دواءٍ لمشغوفٍ بجاريةٍ .

يا قومُ أذني لبعض الحيّ عاشقةٌ
والأذنُ تَعشَقُ قبلَ العينِ أحيانا

فأبلغها الغلامُ الأبيات، فهشّت لها وكانت تزوره مع نُسوة يصحبنَها، فيأكلنَ عنده ويشربنَ وينصرفنَ بعد أن يحدّثها ويُنشدَها ، ولا تُطمعُه في نفسها .

قال[3] : وقال فيها :

---

١ تهذي : تتكلم بغير معقول ، يكون هذا لمرض او غيره .

٢ الروح : الراحة ، والفرح والسرور . الريحان : نبات طيب الرائحة وغلب عند العامة على الآس ، وعند بعضهم على الحبق .

٣ الحديث للأصمعي .

قالت عُقَيلُ بنُ كعْبٍ إذ تعلَّقَها
قلبي ، فأضحى بـه من حبِّها أثـرُ[1] :

أنـّى ولم ترَها تهذي ؟ فقلتُ لهم :
إنَّ الفؤاد يرى مـا لا يرى البصـرُ

أصبحتُ كالحائم الحرّان مُجتَنَبـاً
لم يقضِ وِرداً ولا يُرجى له صَدَرُ[2]

قال : وقال فيها أيضاً ، وهو من جيّد ما قال فيها :

يُزَهِّدُني في حُبِّ عبدةَ معشرٌ
قلوبهمُ فيها مخالفة قلبي

فقلت: دعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يُبصِرُ ذو الحبِّ

فما تُبصر العينان في مَوضع الهوى
ولا تسمعُ الأذنان إلاّ من القلبِ

وما الحُسن إلاّ كلُّ حُسنٍ دعا الصِّبا
وألّف بين العِشق والعاشق الصَّبِّ

---

١ عقيل بن كعب : القبيلة التي كان يفتخر بانتمائه اليها بالولاء .
٢ الحائم : العطشان . الحران : الشديد العطش : يريد انه شديد الهيام بعبدة وهو محروم منها ، ولا يستطيع ان يسلوها .

قال : وقال فيها :

يا قلبُ ! ما لي أراك لا تَقِرُ ؟
إيّاكَ أعني وعندكَ الخَبَرُ[1]

أضعتَ ، بين الألى مَضوا ، حُرَقاً ،
أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا ؟

فقال : بعض الحديث يَشغَفني ،
والقلبُ راءٍ ما لا يَرى البصَرُ

هجاؤه للحسن البصري

إن[2] عبدة جاءت اليه في نسوة خمسٍ قد مات لاحداهن قريبٌ ، فسألته أن يقول شعراً يَنحنَ عليه به ، فوافَينَه وقد احتجم — وكان له مجلِس يجلس فيه غُدوةً يسمّيه « البَردان » ومجلِس يجلِس فيه عشيةً يسمّيه « الرّقيق » — وهو جالسٌ في البَردان ، وقد قال لغلامه : أمسِكْ عليَّ بابي واطبُخ لي ، وهيِّء طعامي وطيِّبهُ وصفِّ نبيذي .

قال : فإنه لكذلك إذ قُرِع الباب عليه قرعاً عنيفاً ؛ فقال :

---

١ تقر : مضارع وقر اي رزن ، صار رزيناً ، وقوراً .

٢ الحديث لخالد بن يزيد بن وهب عن جرير عن ابيه .

وَيحك يا غلام ! أنظر من يدقُّ الباب دقَّ الشُّرَط ؛ فنظر الغلام وجاءه فقال : خمسُ نسوة في الباب يسألنك أن تقول شعراً ينُحنَ فيه ؛ فقال : أدخلِهنَّ . فلمّا دخلنَ نظرنَ الى النّبيذ مُصفّىً في قنانيّه ، في جانب بيتِه ، فقالت إحداهُنَّ : خمرٌ ؛ وقالت الأخرى : زبيبٌ ؛ وقالت الأخرى : مُعسّلٌ . فقال : لستُ بقائلٍ لكنَّ حرفاً أو تَطعَمْنَ من طعامي وتشربنَ من شرابي . فتماسكنَ ساعةً ، وقالت إحداهنَّ : فما عليكنَّ من ذلك ! هذا أعمى ، كُلنَ من طعامه واشربنَ من شرابه وخُذنَ شعره ؛ ففَعلنَ .

وبلغ ذلك الحسَنَ البصريَّ فعابه وهتف به ، فبلغَ ذلك بشّاراً ، وكان الحسنُ يُلقّبُ القسَّ ، فقال فيه بشّارٌ :

لمّا طَلَعنَ من الرَّقيقِ
علَيَّ بالبَردانِ خَمسا

وكأنّهنَّ أهلّةٌ
تحتَ الثيابِ زَففنَ شمسا

باكرنَ طِيبَ لطيمةٍ
وغُمِسنَ في الجاديِّ غَمسا[1]

فسألنَني : مَن في البيوتِ ؟
فقلتُ : ما يَحوين إنسا

---

[1] اللطيمة : المسك ونافجته . الجادي : الزعفران .

لَيتَ العيونَ الناظراتِ
طُمِسنَ عنّا اليومَ طَمسا

فأصَبنَ من طُرَفِ الحديثِ
لذاذةً وخرجنَ مُلسا[1]

لولا تعرُّضُهنَّ لي
يا قَسُّ ! كنتُ كأنتَ قَسّا

أتيت[2] بشاراً ذات يومٍ ، فقال لي : ما شعرتُ منذ أيام إلاَّ بقارع يقرع بابي مع الصُّبح ؛ فقلتُ : يا جارية ، انظري مَن هذا ؛ فقالت : مالكُ بنُ دينارٍ ؛ فقلت : ما لي ولمالك بنِ دينارٍ ! ما هو من أشكالي ! إئذني له . فدخل فقال لي : يا أبا معاذٍ ، أتشتُم أعراض الناس وتُشبِّبُ بنِسائهم ! فلم يكن عندي إلاَّ دفعهُ عن نفسي بأن قلتُ : لا أُعاودُ ؛ فخرج من عندي . وقلتُ في إثْره :

غدا مالكٌ بملاماتِهِ
عليَّ ، وما باتَ من باليَهْ

فقلتُ : دَعِ اللّومَ في حُبِّها ،
فقبلَكَ أعيَيتُ عُذّالِيَهْ

---

١ ملسا : أراد خاليات من العيب ، بريئات .

٢ الحديث لجعفر بن محمد النوفلي .

وإني لأكتمهم سِرَّهـا
غداةَ تقول لها الجاليَه[1] :

أعبدةُ ما لكِ مسلوبـةً ؟
وكنتِ مُقرطَقةً حاليه[2]

فقالت على رِقبـةٍ : إنني
رهنتُ المُرَعَّثَ خلخاليه[3]

بمجلسِ قومٍ سأوفي به
وإن أنكر النـاس أحواليه

قال (هشام بن الأحنف راوية بشّار) : إني لعندَ بشّار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ! عبدةُ تُقرئك السلامَ وتقول لك : قد اشتدّ شوقنا اليك ولم نرَكَ منذ أيامٍ ؛ فقال : عن غير مَقليَةٍ[4] والله كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هِشام ! خذِ الرُّقعة واكتبْ فيها ما أقول لك ثم ادفعه للرسول . قال هشامٌ : فأملى عليّ :

عَبْدَ ! إني اليكِ بالأشواقِ
لِتَلاقٍ وكيف لي بالتّلاقي !

---

١ الجالية : التي تجلو العروس ، تبرزها للناس وتعرضها .

٢ اراد بالمسلوبة : التاركة الزينة حداداً . المقرطقة : اللابسة القرطاق ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب ويسميه العامة القنباز . الحالية : اللابسة الحلى .

٣ عليّ رقبة : على تحفظ .

٤ عن غير مقلية : اي عن غير بغض .

أنا واللهِ أشتهي سحرَ عينيكِ
وأخشى مَصارعَ العُشّاقِ

وأهابُ الحَرَسيَّ مُحتسِبَ الجُندِ
يَلُفُّ البريءَ بالفُسّاقِ[1]

وممّا يُغنّى فيه من شعر بشّار في عبدة قوله :

لعبدةَ دارٌ ما تُكلِّمُنا الدارُ ،
تلوحُ مَغانيها كما لاحَ أسطارُ

أُسائلُ أحجاراً ونُؤْياً مُهدَّماً ،
وكيف يُجيبُ القولَ نُؤْيٌ وأحجارُ[2]!

وما كلّمتني دارُها ، إذ سألتُها ،
وفي كبِدي كالنّفطِ شُبَّت به النارُ

وعندَ مغاني دارِها ، لو تكلّمت
لمُكتَئبٍ بادي الصَّبابة ، أخبارُ

ومن هذه القصيدة :

تحمّلَ جيراني ، فعَيني لبَينِهم
تَفيضُ بتَهتانٍ ، اذا لاحتِ الدّارُ

---

١ الحرسي بفتح الراء : واحد الحرس ، سكنت هنا للضرورة . محتسب الجند : المنتدب لمناظرة الجند .

٢ النؤي : قناة تحفر حول الخيمة لئلا يدخلها الماء .

بكيتُ على مَن كنتُ أحظى بقُربه ،
وحَقَّ الذي حاذرتُ بالأمس إذ ساروا[1]

ومن شعره في عبدة :

مسَّني من صُدودِ عبدةَ ضُرُّ ،
فبناتُ الفؤادِ ما تَستقرُّ[2]

ذاك شيءٌ في القلب ، من حُبِّ عبدةَ ،
بادٍ وباطنٌ يَستَسِرُّ

•

يا عبدَ ! إني قد ظُلِمتُ ، وإنني
مُبدٍ مقالةَ راغبٍ أو راهبِ

وأتوبُ ممّا تكرَهين لتَقبَلي ؛
واللهُ يقبلُ حُسنَ فعلِ التائبِ

•

يا عبدَ ! حُبُّك شفَّني شفَّا
والحبُّ داءٌ يورِثُ الحَتفا[3]

---

١ حق : وجب وثبت .
٢ بنات الفؤاد : الهموم . ما تستقر : ما تسكن .
٣ شفه : هزله وأوهنه . الحتف : الموت .

والحبُّ يُخفيه المُحِبُّ لكي
لا يُستَرابَ به ، وما يَخفَى[1]

•

يا عبدَ ! باللهِ فرِّجي كُرَبي ،
فقد بَراني وشَفَّني نَصَبي

وضِقتُ ذرعاً بما كُلِفتُ به
من حُبِّكم ، والمُحِبُّ في تعَبِ

ففَرِّجي كُربةً شَجِيتُ بها ،
وحَرَّ حُزنٍ في الصَّدرِ كاللَّهَبِ[2]

ولا تظُنّي ما أشتكي لَعِباً ؛
هيهاتَ قد جَلَّ ذا عن اللَّعِبِ !

•

يا عبدَ ! زوريني تكن منَّةً
للهِ عندي يومَ ألقاكِ

واللهِ ثم اللهِ فاستيقِني
إني لأرجُوكِ وأخشاكِ

---

١ يستراب به : يشك فيه .

٢ شجيت : حزنت .

يا عبدَ ! إني هالكٌ مُدنَفٌ ،
إنْ لم أذُق بَردَ ثناياكِ

فلا تودّي عاشقاً مُدنَفاً ،
يرضى بهذا القَدْرِ من ذاكِ

•

يا عبدَ ! قد طالَ المِطالُ فأنعِمي ،
واشفي فؤاد فتىً ، هيمُ ، متيّمِ

•

يا عبدَ ! هل لِلّقاءِ من سَببِ ،
أوْ لا فأدعو بالويلِ والحَرَبِ[1] ؟

•

يا عبدَ ! هل لي منكُمُ من عائدِ ،
أم هل لديك صلاح قلبٍ فاسدِ ؟

•

يا عبدَ ! حيّي عن قريبِ ،
وتأمّلي عينَ الرّقيبِ

---

[1] الويل : حلول الشر . الحرب : الهلاك .

وارعَـيْ وِدادي غائباً
فلقـد رعيتُـكِ في المَغيبِ

أشكـو اليـكِ وإنـّما
يشكـو المُحِبُّ الى الحبيبِ

•

يا عبدَ ! بالله ارحمي عبـدَكِ
وعَلّليـه بمُـنى وعـدِكِ[1]

يُصبحُ مَكروباً ويُمسي بـهِ ،
وليس يـدري ما لهُ عنـدَكِ[2]

مـاذا تقولـين لربِّ العُـلا
اذا تخلّيتِ بـه وحدَكِ !

•

يا عبدَ ! جَلّي كُـروبي
وأسعِفِـي ، وأثِيـبي[3]

---

١ علله به : شغله ولهاه به .

٢ المكروب : المهموم .

٣ جلي : اكشفي . أثيبي : من أثابه ، أعطاه الثواب ، الجزاء .

فقد تطاولَ همّي
وزَفرَتي ونحيبي

•

يا عبدَ ! أنتِ ذخيرتي ،
نفسي فدَتكِ ، وجِيرتي

اللهُ يَعلمُ فيكمُ ،
يا عبدَ ، حُسنَ سَريرَتي

نفسي لنفسكِ خُلّةٌ
وكذاكِ أنتِ أميرتي[1]

•

يا عبدَ ! حُبّي لكِ مستورُ ،
وكلُّ حبٍّ ، غيرَهُ ، زُورُ

إنْ كان هجري سرّكم فاهجروا !
إني بما سرّكِ مسرورُ

•

---

[1] الخلّة : الخليلة ، الصديقة .

لم يَطُل ليلي ولكنْ لم أنَمْ
ونفَى عنّي الكرَى طيفٌ ألَمّ

واذا قلتُ لها جُودي لنا
خرَجت بالصمت عن لا ونعمْ

رَفّهي ، يا عبدَ ! عنّي واعلمي
أنّني ، يا عبدَ ، من لحمٍ ودَمْ

إنّ في بُرديَّ جسماً ناحلاً
لو توَكّأتِ عليه لانهدَمْ

ختَمَ الحبُّ لها في عُنُقي
مَوضعَ الخاتمِ من أهل الذِمَمْ

وكان بشّار يُنكِرُ هذا البيت الأخير وهو :

ختَمَ الحبُّ لها في عُنُقي

قال (أبو حاتم السِّجستاني) : حدّثني مَن أنشد بشّاراً قوله :

لم يطُل ليلي ولكن لم أنَمْ

حتى بلغ الى قوله :

ختَمَ الحبُّ لها في عُنُقي
موضعَ الخاتمِ من أهلِ الذِمَمْ

فقال بشّارٌ : عمّن أخذتَ هذا ؟ قلتُ : عن راويتِك فلانٍ ؛ فقال : قبّحه اللهُ ! والله ما قلت هذا البيتَ قطُّ ، أما ترى الى أثرِه فيه ! ما أقبَحه وأشدَّ تميُّزَه عنّي !. فقال له بعض من حضر : نعم ! هو ألحقه بالأبيات .

عبدَ ! إني قد اعترفتُ بذَنبي
فاغفِري واعرُكي خطايَ بجَنبي[1]

عبدَ لا صبرَ لي ولستُ – فمَهلًا –
قائلًا : قد عتَبتِ في غير عَتْبِ

ولقد قلتُ حين أنصَبني الحبُّ ،
فأبلى جسمي وعذّب قلبي[2] :

ربِّ لا صبرَ لي على الهجرِ حسبي ،
فأقِلني ! حسبي لك الحمدُ حسبي[3]

•

عبدَ ! مُنّي وأنعِمي
قد ملكتُم قيادِيَهْ

---

١ جاء في أساس البلاغة : يقال : عركت ذنبه بجنبه : حملته اياه ، ولعل مراد بشار هنا : امحي خطاي ، وذلك من قولهم : عرك الشيء ، اذا حكه حتى عفاه .

٢ أنصبني : آلمني ، اوجعني .

٣ أقلني : ارفعني من سقطتي .

شابَ رأسي ولم تَشِبْ ،
وابتلائي ، لِداتِيَهْ[1] !

•

عبدَ ! يا هِمَّتي عليكِ السلامُ ،
فِيمَ يُجفَى حَبيبُكِ المُستهامُ ؟

نَزَلَ الحبُّ منزلاً في فؤادي ،
وله فيه مَجلِسٌ ومَقامُ

•

عبدَ ، يا قُرَّةَ عيني !
أنصِفي ، رُوحي فِداكِ ،

عاشقاً ليس له ذِكرٌ
ولا همّ سِواكِ

•

يا عبدَ ! يا جافيةً قاطِعَهْ
أما رَحِمتِ المُقلةَ الدّامعهْ !

يا عبدَ ! خافي اللهَ في عاشقٍ
يَراكِ حتى تقَعَ الواقعَهْ

١ اللدات : جمع اللدة ، يقال : هو لدة فلان أي ولد معه وتربى .

بشار وحماد عجرد[1]

كان السببُ في مُهاجاة حمّادِ عجْردٍ وبشّار ، أن حمّاداً كان نديماً لنافع بنِ عُقبة[2] ، فسأله بشّارٌ تنجيز[3] حاجةٍ له من نافعٍ فأبطأ عنها ، فقال بشّارٌ فيه :

مواعيدُ حمّاد سماءٌ مُخيلةٌ ،
تكشّفُ عن رعدٍ ، ولكن ستبرُقُ[4]

إذا جئته يوماً أحالَ على غدٍ ،
كما وُعِدَ الكمّونُ ما ليسَ يصدُقُ[5]

وفي نافعٍ عنّي جفاءٌ ، وإنني
لأطرِقُ أحياناً ، وذو اللبِّ يُطرِقُ[6]

---

١ عجرد : مأخوذ من المعجرد وهو العريان . قيل لقب به حماد لأن اعرابياً مر به في يوم شديد البرد وهو يلعب مع الصبيان ، فقال له : تعجردت ، اي تعريت ، يا غلام ! فسمي عجرداً .

٢ نافع بن عقبة : والي البصرة .

٣ تنجيز الحاجة : قضاؤها .

٤ المخيلة : التي تحسبها ماطرة .

٥ يريد انه يعد ولا يفي ، ومن ذلك المثل العامي : اسقيك بالوعد يا كمون .

٦ أطرق : سكت . اللب : العقل .

وللنَّقَدى قومٌ ، فلو كنتُ منهمُ
دُعيتُ ، ولكن دُونيَ البابُ مُغلَقُ[1]

أبا عُمَرٍ خلَّفتَ خلفك حاجتي ،
وحاجةُ غيري بين عينيك تبرُقُ[2]

وما زلتُ أستأنيك حتى حسَرتني
بوَعدٍ كجاري الآلِ يَخفى ويَخفِقُ[3]

فغضِب حمّادٌ وأنشد نافعاً الشعرَ فمنعَه من بشّار ، فقال بشّارٌ :

أبا عُمَرٍ ما في طِلابيك حاجةٌ
ولا في الذي مَنَّيتَنا ثمَّ أضْجَرا

وعَدتَ فلم تصدُق ، وقلتَ : غداً ، غداً
كما وُعِدَ الكمُّونُ شُرباً مُؤخَّرا

فكان ذلك السَّببَ في التَّهاجي بين بشّارٍ وحمّادٍ .

---

١ النقدي : هكذا في الأصل ، ولا وجود لهذه اللفظة في المعاجم ، ولعلها النقري : اي الدعوة الخاصة ، فيكون المعنى : ان الدعوة الخاصة لقوم لست انا منهم فأدعى .

٢ ابو عمر : كنية حماد .

٣ حسرتني : من حسر البيت : كنسه ، او من حسر الشيء : كشفه ، والمراد صرفتني بوعد .

الثنوية[1] وحماد

كنتُ[2] أتوهمُ أن حمّاد عجرد إنّما يُرمى بالزندقة لمجونهِ في شعره ، حتى حُبستُ في حبس الزّنادقة فإذا حمّاد عجرد إمام من أئمّتهم ، واذا له شعرٌ مُزاوَجٌ بيتين بيتين يَقرأون به في صلاتهم ؛ قال : وكان له صاحبٌ يقال له حريبٌ على مذهبه وله يقول بشّارٌ حين مات حمّاد عجرد ، على سبيل التعزية له :

بكى حريبٌ فوَقّرْهُ بتعزيةٍ
مات ابنُ نُهبَى ، وقد كانا شريكينِ[3]

أمسى حريبٌ بما أسدى له غيَراً
كراكب اثنينِ يرجو قوّةَ اثنينِ[4]

حتى إذا أخذا في غيرِ وجههما ،
تفرّقا وهوى بين الطريقينِ

يعني أنه كان يقول بقولِ الثّنَويّة في عبادةِ اثنين ، فتفرّقا وبقي بينهما حائراً. قال: وفي حمّاد يقول بشّارٌ أيضاً وينسبهُ الى أنه ابن نُهبى:

---

١ الثنوية : فرقة تقول بأثنينية الاله، اي اله الخير واله الشر .
٢ الحديث لابي نواس .
٣ وقره : رزنه وسكنه . نهبى : اسم للنهب ، والمنهوب، لقب به بشار ام حماد .
٤ اسدى : احسن . غيراً : هكذا في الاصل ولا معنى لها هنا، ولعل الصواب عبراً اي ذا عبرة ، دمعة ، وحزن .

يابنَ نُهبى رأسٌ عليَّ ثقيــلُ
واحتمال الرؤوسِ خطبٌ جليلُ

أدْعُ غيري الى عبادة الاثنينِ
فإني بواحـدٍ مشغولُ

يابنَ نُهبى برئتُ منك الى اللهِ
جِهاراً ، وذاك منّي قليــلُ[1]

قال : فأشاع حمّادٌ هذه الأبيات لبشّارٍ وجعل فيها مكان « فإني بواحدٍ مشغولُ » « فإني عن واحدٍ مشغولُ » ليصُحَّ عليه الزّندقة والكُفر بالله ؛ فما زالت الأبيات تدورُ في أيدي النّاس حتى انتهت الى بشّارٍ ، فاضطرب منها وجزِع وقال : أساء بذمّي ؛ والله ما قلتُ إلاّ : فإني بواحدٍ مشغولُ ، فغيّرها حتى شُهِرَت في الناس .

بصري بين بشار وحماد

كان رجلٌ من أهل البصرة يدخُلُ بينَ حمّادٍ وبشّار على اتفاق منهما ، ورضاً بأن ينقلَ الى كلٍّ واحدٍ منهما وعنه الشعرَ ، فدخل يوماً الى بشّار فقال : إيه[2] يا فلانُ ! ما قال فيَّ ؟ فأنشده :

---

[1] جهاراً : علانية .

[2] ايه : اسم سمي به الفعل ، تقول للرجل اذا استزدته من حديث أو عمل : ايه ، كأنك قلت : هات الحديث .

إن تاه بشارٌ عليكم فقد
أمكنتُ بشاراً من التّيهِ

فقال بشار : بأي شيء وَيحكَ ؟ فقال :

وذاك إذ سمّيتُه باسمِهِ
ولم يكن حُرّاً تُسمّيهِ

فقال : سَخِنت عينُه ! فبأيّ شيءٍ كنت أعرَفُ ؛ إيهِ ! فقال :

فصار إنساناً بذكري له ،
- ما يبتغي من بعدِ ذِكْرِيهِ[1] ؟

فقال : ما صنع شيئاً ، إيه ويحك ! فقال :

لم أهجُ بشاراً ولكنّني
هَجَوتُ نفسي بهجائيهِ

فقال : على هذا المعنى دار ، وحوله حامَ ؛ إيهِ أيضاً ! وأيّ شيءٍ قال ؟ فأنشده :

أنتَ ابنُ بُردٍ مثلَ بُردِ
في النّذالةِ والرّذالةْ

---

[1] ذكريه : مصدر اضيف الى فاعله ، ونصب مفعولا ، والمعنى : ذكري اياه . وكذلك هجائيه في البيت الذي بعده .

من كان مثلَ أبيكَ ، يا
أعمى ، أبوه ، فلا أبا له[١]

وتمام الأبيات الأوَل :

لمْ آتِ شيئاً قطُّ فيما مضى ،
ولستُ فيما عشتُ آتيهِ ،

أسوأ لي ، في الناس ، أُحدُوثةً ،
من خطإٍ أخطأتُهُ فيهِ

فأصبحَ اليومَ لسبِّي لهُ
أعظمَ شأناً من مَواليهِ

حدَّثنا [٢] حمَّاد عجرد لما أُنشِدَ قول بشارٍ فيه :

يا بنَ نُهبَى ! رأسٌ عليَّ ثقيلُ
واحتمال الرأسين أمرٌ جليلُ

فادعُ غيري الى عبادة ربَّينِ ،
فإني بواحدٍ مشغولُ

والله ما أُبالي بهذا من قوله ، وإنَّما يُغيظُني منه تجاهُله بالزَّندقة ،

١ لا أبا له : اي لا أبا حراً له .
٢ الحديث لمحمد بن عبدالله بن ابي عيينة .

يوهمُ الناس أنه يظُنُّ أن الزَّنادقة تعبُدُ رأساً ، ليظنَّ الجهّال أنه لا يعرِفُها ، لأن هذا قولٌ تقولُه العامّة ، لا حقيقة له ، وهو ، والله ، أعلمُ بالزندقة من ماني[1] ، واللهُ أعلم .

بشار وراوية حماد

قال بشارٌ لراوية حمّادٍ : ما هجاني به اليومَ حمادٌ ؟ فأنشده :

ألا مَن مُبلغٌ عنّي الّذي
والــدُه بُردُ

قال : صدَقَ ، فما يكون ؟ فقال :

اذا مـا نُسِـبَ النـاسُ
فـلا قبـلٌ ولا بَعـدُ

فقال : كذَب ، وأين هذه العرَصات[2] من عُقيل ؛ فما يكون ؟ فقال :

وأعمى قَلطَبـانٌ مـا
على قاذفِـه حَـدُّ[3] .

---

١ ماني : فارسي مؤسس مذهب المانوية ، القائم على عبادة الهين : الظلام والنور ، اي الشر والخير .

٢ العرصات : واحدتها العرصة : البقعة الواسعة بين الدور التي ليس فيها بناء . قيل سميت بها لان الصبيان يعرصون فيها ، اي يلعبون ويمرحون .

٣ القلطبان : الذي لا يغار . الحد : هو عند الفقهاء عقوبة مقدرة .

فقال : كَذَب ، بل عليه ثمانون جلدَة ، هِيْه[1] ! فقال :

وأعمى يُشبِهُ القِردَ
إذا ما عَميَ القِردُ

فقال : والله ما أخطأ حين شبَّهني بقِردٍ ! حسبُك ! حسبُك ! ثمَّ صفَّق بيديه وقال : ما حِيلتي ؟ يَراني فيشبِّهُني ، ولا أراه فأُشبِّهه .
قال : لمَّا قال حمَّاد عجردٍ في بشَّارٍ :

شبيهُ الوجه بالقِردِ
إذا ما عمي القِردُ

بكى بشَّارٌ ، فقال له قائلٌ : أتبكي من هجاء حَمَّادٍ ؟ فقال : والله ما أبكي من هجائِه ، ولكنّي أبكي لأنَّه يراني فيصِفُني ، ولا أصِفُه . قال : وتمام الأبيات :

ولو يَنكَهُ في صَلدِ
صفاً لانصدَعَ الصَّلدُ[2]

دَنيٌّ لم يَرُحْ يوماً
الى مجدٍ ، ولم يَغدُ

---

١ هيه : كلمة استزادة .

٢ ينكه : يتنفس . الصلد : الصلب القاسي . صفا : جمع صفاة : الصخرة . وقوله : صلد صفا من باب اضافة الصفة الى الموصوف .

ولم يحضَرْ مع الحُضّارِ
في خيرٍ ، ولم يَبدُ

ولم يُخشَ له ذمٌّ ،
ولم يُرجَ له حَمدُ

جَرى بالنحس مذ كانَ ،
ولم يجرِ له سَعدُ

هو الكلبُ اذا ماتَ ،
فلم يوجَد له فَقْدُ .

وأغلظُ ما هجاه به :

نهارُه أخبثُ من ليلهِ
ويومُه أخبثُ من أمسهِ

وليس بالمُقلعِ عن غَيّهِ
حتى يُوارى في ثرى رمسِهِ

الحكم لبشار على حماد

أجمع العلماء بالبصرة أنه ليس في هجاء حمّاد عجردٍ لبشّار شيءٌ جيّدٌ إلاّ أربعين بيتاً معدودة ؛ ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألفِ بيت جيّد . وكلُّ واحدٍ منهما هو الذي هتك صاحبه بالزّندقة ،

وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط عجردٌ وتهتّك بفضل براعة بشّارٍ وجودة معانيه ، وبقي بشارٌ على حاله لم يسقُط ، حتى عُرِفَ مذهبُه بالزّندقة فقُتِلَ به .

نعي حماد قبل موته

كان بشّارٌ بلغَه أنّ حمّاداً عليلٌ ، ثم نُعي اليه قبلَ موتِه ، فقال بشّارٌ :

لو عاش حمّادٌ لهَونا بـه ،
لكنّه صار الى النّارِ

فبلغ هذا البيتُ حمّاداً قبل أن يموت ، وهو في السّياق[1] ، فقال يردُّ عليه :

نُبّئتُ بشاراً نَعاني وللموت
براني الخالقُ الباري

يا ليتني مُتُّ ولم أهجُـهُ ،
نعم ! ولو صِرتُ الى النّارِ

وأيُّ خِزيٍ هو أخزى من ان
يُقال لي : يا سِبَّ بشارٍ[2] !

---

١ السياق : نزع الحياة .

٢ يا سب بشار : اي الذي سبه بشار .

الباهلي يهجوهما بعد موتهما

لمّا قتل المهديُ بشاراً بالبطيحة ، اتفق أن حُملَ الى منزله ميتاً ، فدُفِن مع حمّادٍ على تلك التّلعة[1] ، فمرّ بهمـــا أبو هِشام الباهليّ الشاعر البصريُ الذي كان يُهاجي بشاراً ، فوقف على قبريهما وقال :

قد تَبِـع الأعمى قـفـا عجرد
فأصبحـــا جارَينِ في دارِ

قالت بِقاعُ الأرض : لا مَرحباً
بقُربِ حمّـادٍ وبشّـارِ

تجاورا بعـد تنائيهمـا
ما أبغضَ الجارَ الى الجارِ !

صارا جميعاً في يَدَيْ مالكٍ ،
في النّارِ ، والكافرُ في النّـارِ[2]

موت بشار

خرج بشّار الى المهـديّ ، ويعقوبُ بن داود وزيرُه ، فمدحـه

---

١ التلعة : المرتفع من الأرض .

٢ مالك : هو ملك النار .

ومدح يعقوب ، فلم يحفِل به يعقوب ولم يُعطِه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزله ، فصاح به بشّار :

طال الثَّواء على رُسوم المنزِلِ

فقال يعقوب :

فإذا تشاءُ أبا مُعاذٍ فارحَلِ

فغضِب بشّار وقال يهجوه :

بني أميّةَ هُبّوا طال نومكمُ
إنَّ الخليفة يعقوبُ بن داودِ

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الزِّقّ والعُودِ

قال النوفليّ : فلمّا طالت أيام بشّار على باب يعقوب دخل عليه ، وكان من عادة بشّار إذا أراد أن يُنشد أو يتكلّم أن يتفُل عن يمينه وشِماله ويُصفّق بإحدى يديه على الأخرى ، ففعل ذلك وأنشد :

يعقوبُ قد ورد العُفاةُ عشيّةً
مُتعرّضين لسَيبكَ المُنتاب[1]

فسقَيتَهم وحسِبتَني كمّونةً
نبَتت لزارعها بغير شراب

[1] المنتاب : الذي يأتي مرة بعد اخرى .

مَهلاً لديكَ فإنّني ريحانةٌ
فاشْمُمْ بأنفِكَ واسقِها بذِنابِ[1]

طال الثواءُ على تنظُّرِ حاجةٍ
شَمِطَتْ لديكَ فمن لها بخِضابِ[2]؟

تُعطي الغزيرةُ دَرَّها فإذا أبتْ
كانت ملامتُها على الحلّابِ[3]

يقول ليعقوب : أنت من المهديّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي اذا لم يُوصَل الى دَرّها فليس ذلك من قِبَلها ، إنّما هو من منع الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس من قِبَله لسَعَة معروفه ، إنّما هو من قِبَل السبب اليه . قال : فلم يعطِفْ ذلك يعقوبَ عليه وحرَمه ، فانصرف الى البصرة مُغضَباً .

فلمّا قدِم المهديُّ البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصَل الشعراء ، وذلك كلُّه على يديْ يعقوب ، فلم يُعطِ بشّاراً شيئاً من ذلك ، فجاء بشّار الى حَلْقة يونسَ النَّحْويّ فقال : هل ها هنا أحد يُحتَشم[4] ؟

---

١ ذناب : جمع ذنوب ، والذنوب : الدلو الملأى .
٢ شمطت : تأخر قضاؤها وطال عليها الامد ، وأصل الشمط ان يخالط سواد الرأس بياض الشيب .
٣ الغزيرة : الكثيرة الدر .
٤ يحتشم : يحذر ويهاب محضره .

قالوا له : لا ؛ فأنشأ بيتاً يهجو فيه المهديّ ، فسعى به أهل الحلقة الى يعقوب ؛ فقال يونس[1] للمهديّ : إنّ بشّاراً زنديق وقامت عليه البيّنة عندي بذلك ، وقد هجا أميرَ المؤمنين ؛ فأمر ابنَ نَهيك بأخذه. وأزِفَ خروجُهم فخرجوا وأخرجه ابن نَهيك معه في زَورق .

فلمّا كانوا بالبَطِيحة ذكَره المهديّ فأرسل الى ابن نَهيك يأمره ان يضرب بشّاراً ضربَ التلف ويُلقيَه بالبطيحة ، فأمر به فأقيم على صدر السفينة وامر الجلاّدين أن يضربوه ضرباً يُتلِفون فيه نفسَه ففعلوا ذلك ، فجعل يَسترجع[2] ؛ فقال بعض من حضر : أمَا تراه لا يحمد الله ! فقال بشّار : أنعمةٌ هي فأحمد الله عليها ! إنّما هي بليّة أسترجع عليها . فضُربَ سبعين سوطاً مات منها وأُلقيَ في البطيحة .

قال (محمد بن الحجاج) : لمّا ضُرِب بشّار بالسّياط وطُرِح في السفينة قال : ليت عينَ أبي الشَّمَقمق رأتني حين يقول :

إنّ بشّارَ بنَ بُردٍ
تيسٌ اعمى في سفينهْ

قال (عمر بن شبّة) : أمر المهديّ عبد الجبّار صاحب الزنادقة فضرب بشّاراً ، فما بقي بالبَصرة شريفٌ إلاّ بعث اليه بالفَرْشِ والكُسوة والهدايا ومات بالبطيحة . قال : وكانت وفاته وقد ناهز ستين سنة .

---

١ تقدم ان الذي أخبر المهدي هو يعقوب .

٢ يسترجع : يقول انا لله وانا اليه راجعون .

كنّا[1] عند يونس فنعى بشّاراً الينا ناعٍ ، فأنكر يونسُ ذلك وقال: لم يمتْ ؛ فقال الرجل : أنا رأيت قبرَه ؛ فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ، وإلاّ فعليّ وعليّ ؛ وحلَف له حتى رضِيَ ، فقال يونسُ : « لليدين وللفم[2] . »

لمّا مات بشّار أُلقيتْ جُثّته بالبطيحة في موضع يُعرف بالحرّارة ، فحمله الماء فأخرجه الى دجلة البصرة فأخِذَ فأُتي به أهلُه فدفنوه ، قال : وكان كثيراً ما ينشدني :

ستَرى حولَ سَريري
حُسَّراً يَلطِمنَ لَطما[3] .

يا قتيلًا قتلتْهُ
عبدةُ الحوراءُ ظلما

قال : وأُخرِجتْ جنازتُه فما تبِعها أحدٌ إلاّ أمَةٌ له سوداء سِندية عَجماء ما تُفصح ، رأيتُها خلفَ جنازته تصيح : واسيّداه ! واسيّداه !

تباشر الناس بموته

لمّا مات بشّار ونُعي الى أهل البصرة تَباشر عامّتهم وهنّأ بعضهم

---

١ الحديث لسالم بن علي .

٢ إستعمل يونس هاتين الكلمتين في الشماتة بهلاك بشار ؛ وهما في الأصل مثل يقال عند الشماتة بسقوط انسان ، والمراد أسقطه الله على يديه ورجليه .

٣ حسر : جمع حاسر وهي المكشوفة الوجه أو الذراعين .

بعضاً وحمِدوا الله وتصدّقوا ، لِما كانوا مُنُوا[1] به من لسانه .

وقال أبو هشام الباهليّ :

يا بؤسَ مَيتٍ لم يَبكِهِ احدُ
أجَلْ ولم يَفتقِدْهُ مُفتقِدُ

لا أمُّ أولاده بكتْه ولم
يبكِ عليه لفُرقةٍ وَلدُ

ولا ابنُ أختٍ بكى ولا ابنُ أخٍ
ولا حميمٌ رقّت له كبِدُ

بل زعموا أنّ أهله فَرحاً
لمّا أتاهم نَعيُه سَجَدوا

وقال أيضاً في ذلك :

قد تبِع الأعمى قفا عَجْرَد
فأصبحا جارَين في دارِ

قالت بِقاعُ الأرض لا مَرحباً
برُوح حمّادٍ وبشّارِ

تجاورا بعد تَنائيهما
ما أبغضَ الجارَ الى الجار !

---

١ منوا : ابتلوا .

صارا جميعاً في يَدَيْ مالك
في النار والكافرُ في النارِ

قال (ابن خلاّد عن أبيه) : مات بشّار سنة ثمان وستين ومائة[1] وقد بلغ نيّفاً وسبعين سنة .

بكاء المهدي عليه

لمّا ضرب المهديّ بشّاراً بعث الى منزله من يُفتّشه ، وكان يُتّهم بالزندقة ، فوُجد في منزله طومار[2] فيه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

إني أردتُ هجاء آل سليمان بن عليّ لبخلهم فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمسكتُ عنهم إجلالاً له صلّى الله عليه وسلّم ، على أنّي قد قلتُ فيهم :

دِينارُ آلِ سليمانٍ ودِرهَمُهُم
كالبابليّين حُفّا بالعفاريتِ[3]

---

١ سنة ٧٨٤ م .

٢ الطومار كالطامور : الصحيفة .

٣ نسبة الى بابل وهي ناحية منها الكوفة والحلة ينسب اليها السحر والخمر .

لا يُبصَران ولا يُرجَى لقاؤهما
كما سمعتَ بهارُوتٍ وماروتِ[1]

فلمّا قرأه المهديّ بكى وندِمَ على قتله ، وقال : لا جزَى الله يعقوب بن داود خيراً ، فإنّه لمّا هجاه لفّق عندي شهوداً على أنه زنديقٌ فقتلتُه ثمّ ندمت حين لا يُغني النّدم .

قال (محمد بن هارون) : لمّا نزل المهديُّ البصرةَ كان معه حَمْدُويَه صاحبُ الزنادقة فدَفع اليه بشّاراً وقال : اضربه ضرب التلف ؛ فضربه ثلاثة عشر سوطاً ، فكان كلّما ضربه سوطاً قال له : أوجعتَني ويلك ! فقال : يا زنديق ، أتُضرَب ولا تقول : باسمِ الله ! قال : ويلك ! أثَريدٌ هو فأسمّيَ الله عليه ! قال : ومات من ذلك الضّرب .

---

١ هاروت وماروت : ملكا السحر في بابل .

بشار

مطبعة المناهل : ١٦ – ١٩٥٠

مكتبة صادر

٢٥٠ غ.ل